ملحق
التفاهم
العدد: التاسع والسبعون رمضان 1442هـ - أبريل 2021م
ملحق مجلة التفاهم تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

- ألا يوجد دليل فلكي لحل مشكلة تحديد بداية شهر رمضان؟
- جوهريات في الصحة والسلامة
- هل اتفاق باريس للمناخ مجرد وعود على ورق؟
- الحجر الأساس للحضارة الإسلامية
- التَنْمية رحلة في المفهوم والنظريات
- الذكاء الاصطناعي سلاح ذو حدين
- الإعلام الجديد
- مشكلة الإنسان هي الإنسان
- تمثلات الهويّة في الأدب والثقافة العُمانيّة
- دور المؤسسات المجتمعية...
- الإسلام حضارةٌ وفكرٌ

أمَّـا قبل...!

د. هلال الحجري

من الأشعار التي تناسب المراحل الدنيا من الصف الأول إلى الثالث، أي بين السنوات ٦-٩، هذه المقطوعات القصيرة التي كتبها بول كينج Paul King أحد معلمي ومؤلفي مناهج المدرسة الدولية (Waldorf) التي تقوم مبادئها التعليمية على فلسفة الأنثروبولوجيي الألماني رودولف شتاينر، وترى أن تنمية خيال الطلاب وإبداعهم هي المحور الرئيس للعلملية التربوية.

(بعد المطر)

يقولُ طقْ.. يقول طقْ * من الغصونِ والورقْ
وقطرةً وقطرةً * من سَقْفِ بيتنا دَفَقْ
ونقرةً ونقرةً * آثارُه على الرمالْ
دموعُه على يَدَيَّ في اليمينِ والشمالْ
في العشب يبقى قَطْرُهُ * والزهرِ والبَراعِم
ما أجملَ الشمسَ تُضيئُ بَعْدَ يومٍ غائم

(قوس قزح)

من أحمرٍ وأصفرٍ * وأزرقٍ وأخضرِ
وبرتقاليٍّ يكون القوسُ بعد المطرِ
والأزرقِ الغامقِ والبنفسجيِّ المُعْجِبِ
سبعةُ ألوانٍ بقوسٍ رائعٍ كالذهَبِ

(بين شجرة الصنوبر والقصب)

صَنَوْبَرَةٌ تتيه من الغُرورِ * ترى قَصَبًا يميسُ على غَديرِ
فقالت: إنني أعلاكَ طولا * وأفخمُ منكَ في كلِّ الأمورِ
فلم يَنْطِقْ، ولكنْ من قريبٍ * أتتْ ريحٌ تُزَمْجِرُ في المَسيرِ
فكسّرت الصنوبرَ وهو صَلْدٌ * ولم تأتي على القَصَبِ اليسيرِ!

hilalalhajri@hotmail.com

ألا يوجد دليل فلكي لحل مشكلة تحديد بداية شهر رمضان؟

• وليد العبري

رغم كل التَّقدم الذي تمَّ إحرازه في علم الفلك، يتساءل الدكتور نضال قسوم في مقاله بمجلة «Nature middle east» بعنوان «قمر جديد في الأفق: دليل فلكي لحل مشكلة تحديد بداية شهر رمضان» والمنشور في العدد العاشر باللغة الإنجليزية: ألا يوجد حل بسيط وعملي للقصة الطويلة التي تتكرر سنوياً حول «متى نبدأ شهر رمضان»؟

بما أن الأشهر الإسلامية تتبع التقويم القمري، فإنَّ بداية كل شهر تحدد من خلال رؤية الهلال. وكل عام، ومع اقتراب شهر رمضان المُعظم، يتزايد الجدل المتواصل حول بداية الشهر، وغالباً ما يؤدي ذلك إلى عواقب محرجة. لم تنجح المناقشات والحوارات التي لا تُعد ولا تُحصى حتى الآن في الاتفاق على طريقة لحل هذه المسألة مرة وإلى الأبد.

لماذا يجد العالم الإسلامي صعوبة في تحديد بداية شهر رمضان، وكذلك بداية أيام الأعياد الدينية ومواعيد الحج؟ لماذا لا يستطيع علم الفلك حل هذه المشكلة والتي تبدو بسيطة؟ وإذا كان بإمكان العلم نقل البشر والإنسان الآلي إلى القمر واستكشاف كل بقعة على سطحه، والبحث عن الجليد في فوهات القمر، وإرسال مركبات ومسابير الفضاء إلى أطراف المنظومة الشمسية، هل يعجز عن تحديد وضع ومدى وضوح الهلال الرقيق، الذي يشير إلى بداية الأشهر الإسلامية؟

إن العلم ليس مسؤولاً عن الارتباك واسع النطاق الذي يشهده العالم الإسلامي كل عام قبل بداية ونهاية شهر رمضان. لكن، وقبل استعراض الأسباب الكامنة وراء هذا الوضع واقتراح الحلول لهذه المشكلة على الصعيد العالمي، فإنَّه من المهم أن نفهم جوانبه العلمية ونرى إلى أي مدى تمَّ تحقيق تقدم في هذا المجال على مدى العقود القليلة الماضية. أولا، يجب أن يكون هناك نوع من التمييز البسيط، فتحديد وضع القمر حول الأرض في أي لحظة ومن أي مكان محدد يختلف عن التنبؤ برؤية أو عدم رؤية الإنسان للهلال الرقيق الجديد الذي يظهر لفترة وجيزة بعد أن يبدأ القمر دورة جديدة حول الأرض.

كان دائماً سهلا نسبيا بالنسبة للعلماء وجود حل لظهور القمر الأول منذ أقدم العصور، من بينهم البابليون والإغريق والمسلمون. أما اليوم فقد حققت الميكانيكا السماوية دقة هائلة، وبإمكان أجهزة الحاسوب السريعة حل معادلات معقدة، مع الأخذ بعين الاعتبار كافة العوامل والآثار مثل سحب جاذبية الأرض والشمس والكواكب القريبة. من المثير للدهشة أن تحديد ما إذا كان القمر مرئياً، وهو ما يبدو وكأنها مهمة بسيطة إلى حد ما، هو أمر أكثر تعقيداً. ومع ذلك، فإن هذه المشكلة لا تستعصي على الحل.

لقد أدرك علماء الفلك دائماً أن عملية رصد الهلال تتأثر بالعوامل الجوية، مثل الاضطراب في الهواء، والرطوبة، والغبار، والتلوث. هذا الأمر صحيح خصوصاً عندما يكون الهلال منخفضاً في السماء بالقرب من الأفق، كما يكون وضعه دائماً في بداية الشهر القمري. علاوة على ذلك، فإنَّ هذه الآثار تختلف من مكان إلى آخر ومن ليلة واحدة إلى أخرى.

شهد عام ١٩٧٠ وعام ١٩٨٠ تطورات جديدة مثيرة للاهتمام، كان أولها النتيجة التي توصل إليها بروين (١٩٧٧) وهو أنَّه طالما أن المشكلة تعتمد بشكل كبير على عوامل الغلاف الجوي المحلي، فإنه ينبغي التعامل معها من خلال الفيزياء بدلاً من الهندسة. ولذا، اقترح نموذجا جديدا. ومن خلال هذا النموذج، يتم تحديد التباين بين سطوع القمر (يمكن أن تحسب هندسيا من موقع القمر بالنسبة للشمس، وجهاز الرصد على حد سواء) والسماء الخلفية (التي تعتمد على الظروف المحلية). يتم بعد ذلك عمل مقارنة بين هذا التباين والحد الأدنى من سطوع القمر الذي يمكن رؤيته بعين الإنسان المجردة (أو التلسكوب). وهذا يؤدي إلى التنبؤ بمدى وضوح رؤية الهلال في أي ليلة معينة من أي موقع معين.

وخلال تلك الفترة الزمنية نفسها، قام عالم الفلك الماليزي محمد إلياس بعمل شيئين. أولا، وضع معيارا هندسيا جديدا مشابها للنموذج القديم، لكنه أكثر دقة قليلاً. ثم قدم مفهوما جديدا وهو «خط التاريخ القمري»، والذي يُقسم العالم إلى منطقتين من حيث خطوط الطول. إلى الغرب من هذا الخط، سيصبح من الممكن رؤية الهلال في سماء الليل، وسيبدأ الشهر في اليوم التالي. أما بالنسبة لجميع المناطق التي تقع إلى الشرق من الخط لن يكون بإمكانها رؤية الهلال، وبالتالي سيتأخر بدء الشهر ليوم واحد. من المهم أن ندرك أنَّ هذا الخط يتغير كل شهر، وليس سلساً ويوجد به بعض القدر من عدم الوضوح. وتوالت على مر السنين المزيد من النماذج، سواء من النوع الفيزيائي أو الهندسي.

وباختصار، يمكن القول بأنَّ لدينا اليوم نماذج جيدة ومعايير دقيقة لمعرفة أين ومتى يُمكن أو لا يمكن رؤية الهلال. من الصعب بطبيعة الحال التنبؤ بالظروف الجوية محلياً، ولذا فإن دقة التنبؤات بمدى وضوح رؤية الهلال تخص هذه المنطقة بعينها. ولأسباب عملية، فإنه التنبؤ الخاص بالبلد أو الدولة يعتبر كافياً.

ثم لماذا نحن المسلمين لا نزال نعاني من ارتباك عندما نريد أن نعرف بداية الشهور المقدسة؟ ولأن المجتمع، وبالأخص رجال الدين، لازالوا يصرون على أن الشهر يبدأ عند رؤية الهلال الجديد بالعين، فإنَّ هذا الشرط من شأنه أن يؤدي إلى حدوث تباين بين المسلمين في جميع أنحاء العالم. وقد أظهرت الدراسات أن الأشخاص يرتكبون أخطاء عن غير قصد عند رؤية الهلال الجديد، حتى عندما يكون الهلال غائباً في كبد السماء. وتوصلت دراسات أجراها عدد من الباحثين في الجزائر، والأردن وسوريا والمملكة العربية السعودية أنه على مدى السنوات الـ ٥٠ الماضية، فإنه تم الإعلان بشكل خاطئ عن ٥٠٪ إلى ٩٠٪ عن مناسبات دينية استنادا إلى تقارير شهود عيان.

وطالما أننا مصرون على رؤية الهلال عشية بداية الشهر، وخصوصا من خلال الرصد بالعين المجردة، فسنرتكب أخطاء، وهو ما أدى إلى وجود اختلافات داخل البلدان وبين الدول. وهذا هو السبب في أننا نجد في أيامنا هذه أن بداية ونهاية شهر رمضان في العالم الإسلامي على مدى ثلاثة أو أربعة أيام مختلفة.

هل الفلكيون المسلمون اليوم قادرون على إنشاء تقويم يمكن تطبيقه بشكل كامل لأغراض دينية ومدنية؟ نعم. بالفعل، فبعد سنوات من العمل والمناقشات التي دارت خلال اجتماعات ومؤتمرات، ظهر تقويمان مقترحان، الأول هو تقويم موحد يستند إلى قاعدة واحدة لبداية الشهر القمري في أي مكان في العالم والثاني هو تقويم لمنطقتين، الذي اقترحه الدكتور نضال قسوم ومحمد عودة، ويقسم العالم إلى قسمين (قارات العالم القديمة والجديدة) ويستنبط تقويمين مختلفين قليلاً (يتوافقان بنسبة حوالي ٧٥٪ في الوقت، ويختلفان بيوم في أوقات أخرى).

قد يبدو من الواضح أن التقويم الموحد أفضل، وبالتالي فإن اقتراح تقويم لمنطقتين يبدو أنه غير مجد، ولكن هناك إيجابيات وسلبيات لكلا المقترحين. لا يضمن التقويم الموحد توافقا كافيا مع وضوح الرؤية في العالم الإسلامي، في حين أن التقويم الذي يستند إلى منطقتين قد لا يراعي قدرا من الوحدة، لكنه في المقابل يضمن (للسلطات الدينية) أن الأشهر متوافقة بشكل كامل تقريبا مع رصد الهلال.

ولذا فإنه إذا كانت المشكلة مفهومة تماماً، وعمل الفلكيون المسلمون بجد وتوصلوا إلى حلول جيدة، فلماذا يرفض العالم الإسلامي تبني أي حلول تضع نهاية لهذه المشكلة الاجتماعية والدينية المزعجة، والقائمة منذ فترة طويلة؟ ولأن العديد من الناس لازالوا يجدون صعوبة في تجاوز الطرق التقليدية القديمة في رؤية الهلال ليلة الشك من أجل تحديد بداية الشهر؛ فإنه بمجرد التخلص من هذا الانغلاق الذهني، سيتم حل المشكلة بسرعة وسهولة بالتأكيد.

Wali7-alabri@hotmail.com

جوهريات في الصحة والسلامة

• رقية الكندية

يتبادر إلى أذهاننا فور رؤية مواضيع عناوينها تتعلق بالصحة، والسلامة أنَّها مألوفة ومفهومة وما من داع لقراءتها، أو التعمق فيها، ولكن، المواقف التي تحصل من حولنا سواء كانت لنا أو لغيرنا، وتختلف حدة خطورتها تستدعي بالفعل فهم معنى الصحة وما يندرج تحتها من مفاهيم، وتتطلب الوعي بإجراءات السلامة التي ينبغي اتخاذها في موقف مُعين؛ ومن هنا، تكمن أهمية التطرق لمفاهيم الصحة والسلامة كما هو الحال في مقال المهندس عماد العصفور حول « الصحة والسلامة العامة » المنشور في المجلة العلمية للنشر العلمي، ٢ كانون الثاني ٢٠٢١. يتمحور هذا المقال حول بؤرتين أساسيتين أولاهما : مفهوم الصحة، ومستوياتها والعوامل التي تُؤثر عليها، وكيفية الحفاظ عليها ويتطرق كذلك إلى الأمراض، ومسبباتها، وأقسامها، والفحوصات المخبرية اللازمة للكشف عنها، وكذلك إلى البيئة، وعناصرها، ومكوناتها، وعلاقتها بالصحة، ومن ثم يتحدث عن مظاهر الرعاية الصحية، ومستوياتها، وأهميتها، وأمثلة عليها. وثانيهما : السلامة، وأهدافها، وأنواعها، والإرشادات اللازمة لاتباعها لتطبيق مفهوم السلامة.

عرفت منظمة الصحة العالمية الصحة بأنَّها حالة من اكتمال اللياقة البدنية، والاجتماعية، والنفسية، وليست الخلو من العجز أو أحد الأمراض. ولو فصلنا قليلاً في هذا التعريف لوجدنا أن اللياقة البدنية تعني اكتمال أجهزة الجسم وأعضائه، واللياقة الاجتماعية تتمحور حول المؤثرات البيئية المجتمعية من حوله، واللياقة النفسية فهي العقل الذي خص الله به الإنسان عن بقية المخلوقات. وللصحة مستويات عدة تبدأ بالصحة المثالية، والصحة الإيجابية، والصحة المتوسطة، والمرض الخفي، والمرض الظاهر، وتنتهي بمستوى الاحتضار. وتعد المرحلة الأولى نادرة الحدوث؛ كونها تتطلب تكامل الصحة البدنية والاجتماعية والنفسية، أما الصحة الإيجابية فهي قدرة الإنسان على مواجهة الأمراض، والمؤثرات المختلفة الطارئة دون التسبب له بأي أذى، وتعرف الصحة المتوسطة بأنها تساوي العوامل الإيجابية مع السلبية، وفيها يقع الإنسان فريسة سهلة للأمراض من حوله، ويتعاكس المرض الخفي والظاهر من حيث ظهور الأعراض وزمن ظهورها، وأخيرا، فإن مستوى الاحتضار يعد أصعب مرحلة من حيث صعوبة شفائه. وتتأثر الصحة بعوامل عدة كالجنس، والعمر، ونوع العمل والوظيفة، والمقاومة النوعية وغير النوعية إلخ... وتمثل تلك الأخيرة عاملا أساسيا في الحد من إصابة الجسم بالأمراض - وهي حالة غير طبيعية تؤثر على جسم الإنسان وتظهر من خلال الأعراض نتيجة لعوامل خارجية كالأمراض المعدية، أو عوامل ذاتية كأمراض المناعة الذاتية -. تعاكس الصحة الأمراض سواء كانت جرثومية كالبكتيريا، والفيروسات وغيرها، أو متعلقة بسوء التغذية، أو فسيولوجية كأمراض القلب والشرايين. ويتم الكشف عن هذه الأمراض بواسطة الفحوصات المخبرية المتعددة التي تتم بأخذ عينات الدم أو البول، ومثال على الفحوصات المخبرية: خلايا الدم البيضاء والحمراء، وفحوصات الكبد، وفحوصات الكلى، وفحوصات الغدة الدرقية، وغيرها.

ومن وجهة نظري، فإنَّ الإنسان يحتاج لإجراء فحص روتيني بغض النظر عن شعوره بالمرض أو لا؛ للتأكد من صحته وسلامته، وللوقاية من بعض الأمراض أحيانًا، وكما تحدد نتيجة هذه الفحوصات الإجراءات اللازم اتخاذها في حالة الإصابة بالمرض كتحديد جرعات الأدوية وغيرها.

كما نجد أن هناك عوامل أخرى لها دور كبير في التأثير على حياة الإنسان وصحته وهي البيئة، والنظافة الشخصية، والنوم. فتؤثر البيئة عليه بعواملها الحيوية كالبشر، والنباتات، والحيوانات، والعوامل غير الحيوية كالضوء، والهواء، والماء. وعرفها دوغلاس وهولند بأنها مجموع القوى الخارجية والمؤثرات التي تؤثر على حياة الكائنات الحية. ويمكن تقسيمها من حيث العناصر أو الأغلفة أو من حيث تأثيرها على الفرد، فنجد أنها تشمل ثلاثة عناصر أساسية وهي: العناصر الفيزيائية كالتربة، والعناصر البيولوجية كالإنسان، والعناصر الثقافية كالأنشطة الاقتصادية. ومن حيث الأغلفة، فإنها تتكون من الغلاف الصخري، والمائي، والجوي، والغلاف الحيوي. أما من ناحية تأثيرها على الإنسان - وهو الجانب الأهم من وجهة نظري - فإنها تتمثل في البيئة المادية كالمناخ الجغرافي، وتتمثل في البيئة الاجتماعية؛ فنجد أن هناك مجتمعا منفتحا ويعاكسه المجتمع المنغلق، وأخيرا في البيئة النفسية - والتي وصفها العالم كورت ليفن بمصطلح الحيز الحياتي، Life Space" وهي المشاكل التي تواجه الإنسان في حياته وكيفية تغلبه عليها. وتسهم النظافة الشخصية - وما يندرج ضمنها من نظافة الفم، والملابس، ونظافة الجسد - في الوقاية من بعض الأمراض النفسية كالاكتئاب، والتوتر، والأمراض البدنية كانتشار الطفيليات والفيروسات. ويساعد النوم لساعات كافية في الحفاظ على صحة القلب، وزيادة النشاط والتركيز، والوقاية من السرطانات، إلخ..

ومن هذا المنطلق، فإنَّ منظمة الصحة العالمية اهتمت بجانب الرعاية الصحية للإنسان، وتضامنت جهودها مع القطاع الصحي، والبيئي، والتربوي، وغيرها؛ لوقايته من العوامل المسببة للأمراض، وأوضحت أهمية توفر الأمان، والمسكن المناسب، والتعليم، والغذاء، والدخل، واستقرار البيئة، واستدامة الموارد، والحالة الاجتماعية. وتندرج الرعاية الصحية لأربعة مستويات وهي الرعاية الأولية وتعد الواجهة الأساسية؛ كونها تعنى بجميع أعمار المرضى، ومن مختلف الأصول الاجتماعية، وجميع أنواع المشاكل الصحية، والرعاية الثانوية وهي المرحلة التي يتحول فيها المريض من الرعاية الأولية، والرعاية الثالثية التي تشمل إجراء فحوصات طبية متقدمة ومثال عليها خدمات علاج السرطان وجراحة الأعصاب، إلخ..، والرعاية الرابعية ومثال عليها الطب التجريبي.

ولا ننسى الخدمات الصحية المقدمة من الكوادر الطبية، والتي تتمثل في توعية المواطنين، وخدمات التطعيم والتحصين، وتوفير الأدوية الأساسية وغيرها. وتختلف جدارة هذه الخدمات وفق الدولة وخبرتها وميزانيتها وكفاءة الكوادر الطبية، واهتمام الإنسان بصحته وسلامته.

درسنا كثيرا مواضيع تتعلق بجانب السلامة وأنواعها، وأهميتها، ولكن، عندما نأتي لجانب التطبيق نجد هناك صعوبة في احتواء المواقف الخطرة، وأحيانا تتطلب منا استشارة مختصين من الكوادر الطبية؛ وكيف لا وهي متعلقة بحياة الإنسان؛ لذلك نجد أن هناك أهمية لتطبيق الأشياء التي ندرسها أو نقرأها.

تهدف السلامة إلى حماية الإنسان من إصابته بالأمراض، والحوادث والإصابات، وأيضا تهدف إلى الحفاظ على المنشآت وما تحويه من التلف، وهناك العديد من أنواع إجراءات السلامة الواجب اتباعها كالسلامة في المنزل، والسلامة في الورش، والسلامة في العمل. ومثال على تلك الأخيرة تأمين المخازن من أخطار الحريق، واتخاذ الاحتياطات الكافية لاحتواء الحريق عند وقوعه. ولا ننسى خطوات ضرورة استخدام معدات الوقاية أثناء العمل، وتوفير صندوق الإسعافات الأولية، والإشراف على متطلبات السلامة من قبل مختصين وغيرها.

ومن هنا، نلحظ ترابطا كبيرا بين مفهومي الصحة والسلامة، فالصحة تتحقق بسلامة الإنسان والعكس؛ فلا غنى عنهما، وكما يقال فإن « درهم وقاية خير من قنطار علاج»، و«الصحة هي الثروة الحقيقية وليس قطعة من الذهب والفضة»، فلابد من التوغل في جوهريات ومضامين الصحة والسلامة، ومشاركتها مع الآخرين، وإقامة ورش وبرامج من أجل توعية فئات المجتمع.

zainbalkalbany1212@gmail.com

هل اتفاق باريس للمناخ مجرد وعود على ورق؟

• زينب الكلبانية

يحذّر ديفيد جي. فيكتور وزملاؤه كيجو أكيموتو، ويويتشي كايا، وميتسوتسون ياماجوتشي، وداني كولينورد، وكاميرون هيبورن، المتخصصون في علم المناخ، وذلك في مقالهم المنشور باللغة الإنجليزية بعنوان «هل اتفاق باريس للمناخ مجرد وعود على ورق؟» في مجلة «Nature» العدد خمسة وخمسين؛ يحذ هؤلاء الباحثون من أن جميع الدول الصناعية الكبرى تخفق في الوفاء بتعهداتها بالحدّ من انبعاثات غازات التدفئة.

إنّ التفكير القائم على التمني، إلى جانب التعجرف، يطمسان ما يجري على أرض الواقع؛ فها هي بلدان الاتحاد الأوروبي تعاني في سعيها للوصول بكفاءة الطاقة، والطاقة المتجددة إلى المستويات التي زعمت أنها ستصل إليها. وقد قطعت اليابان على نفسها وعودا بتخفيض الانبعاثات؛ لتتناسب مع نظرائها من البلدان الأخرى، إلا أن تحقيق هذه الأهداف سيكلفها أكثر مما تريد أن تدفع. وبعيدا عن محاولات ترامب، الرامية إلى إيقاف سياسة المناخ الاتحادية، فإن الولايات المتحدة تسير ببطء شديد في سعيها لتحويل اقتصادها إلى اقتصاد قائم على الطاقة النظيفة.

لقد أتاح اتفاق باريس - نظريًا - إعادة النهوض بالدبلوماسية المناخية، عبر مَنْح المرونة اللازمة للبلدان؛ لتضع التزاماتها الخاصة. واعتبارا من شهر يوليو ٢٠١٧، صَدَّق ١٥٣ بلدا على الاتفاق؛ وقدَّم ١٤٧ بلدا منها تعهدات بخفض الانبعاثات، وتُعرَف هذه التعهدات أيضاً باسم الإسهامات المحددة محلياً. وتتمحور الفكرة في أنه مع تنفيذ كل بلد لتعهداتها، يمكن للبلدان الأخرى معرفة ما يمكن تنفيذه. ومن ثم، يبرز تعاون عالمي في ميدان حماية المناخ، إلا أن هذا المنطق مهدد بالانهيار، لأن الحكومات الوطنية تقدم وعودا لا تستطيع الوفاء بها.

تتناقص معدلات الانبعاث في جميع البلدان الصناعية المتقدمة تقريباً، إلا أنَّ ذلك التناقص بطيء للغاية، بحيث لا يوفي بالتعهدات التي قطعَتها الحكومات على أنفسها في اتفاق باريس. ورغم تكرار الموقف العام ذاته في تلك البلدان، فإن التفاصيل تختلف من بلد إلى آخر.

تعهدت إدارة الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما في عام ٢٠١٥، على سبيل المثال، بالحد من الانبعاثات في الولايات المتحدة بنسبة تتراوح بين ٢٦ و٢٨٪، أقل من مستويات عام ٢٠٠٥، وذلك بحلول عام ٢٠٢٥، ومع ذلك، فمن المحتمل ألا تتمكن البلاد من الحد من انبعاثاتها، إلا بنسبة تتراوح بين ١٥ إلى ١٩٪. فقد لجأت أسواق الطاقة من تلقاء ذاتها إلى الاستعاضة عن الفحم بالغاز الطبيعي؛ كما أن السياسات التي تشجّع على استخدام الطاقة المتجددة وكفاءة الطاقة تلعب دورا مهما. وأقل ما تُوصف به الافتراضات المتعلقة بالحد الأقصى لعزل الكربون من الغابات - التي قدمتها الحكومة الأمريكية إلى الأمانة العامة لاتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ - أنها شجاعة، ولكن حتى عند الجمع بينها وبين الافتراضات المتفائلة بشأن انخفاض الطلب على الطاقة، وتكلفة الطاقة النظيفة، فالأرجح أن الانبعاثات سوف تقل بنسبة ٢٣٪ على أقصى تقدير عن مستويات عام ٢٠٠٥ بحلول عام ٢٠٢٥.

وفي ظل إدارة ترامب، اتسعت الفجوة بين ما جرى التعهد به، وما سوف يتحقق فعلياً؛ إذ تسعى الحكومة الفيدرالية إلى إلغاء «خطة الطاقة النظيفة»، التي وضعتها «وكالة حماية البيئة الأمريكية»، لكي توقف العمل بالقيود التي كانت مفروضة على انبعاثات غاز الميثان، وتلغي سياسات كفاءة الطاقة. وقد تعهدت شركات كثيرة، ومدن، وولايات في الولايات المتحدة بمواصلة الحدّ من الانبعاثات، إلا أن هذه التعهدات لا تزال حتى الآن مجرد ادعاءات لم تدخل حيز التنفيذ.

وفي اليابان، كما هو الحال في جميع البلدان الصناعية، تمثل الكهرباء عنصراً محورياً في الجهود الرامية إلى الحد من الانبعاثات. وفي المجمل، فإن تعهدات اليابان والسياسات المصاحبة لها قد تقلل استهلاك الكهرباء بنسبة ١٧٪ عن المستوى المتوقع، دون سياسات جديدة بحلول عام ٢٠٣٠؛ برغم حقيقة أن قطاعات أخرى - مثل قطاع النقل - سوف تستخدم الكهرباء.

يعاني الاتحاد الأوروبي أيضاً من فجوة كبيرة بين الأقوال، والأفعال، فثمة تقدُّم يحرز من خلال «مخطط تبادل الانبعاثات في المنطقة، الذي سيمكن قطاع الطاقة، والقطاع الصناعي من خفض انبعاثات غازات التدفئة بنسبة ٤٣٪ عن مستويات عام ٢٠٠٥، وذلك بحلول عام ٢٠٣٠. وكما هو الحال في الولايات المتحدة، فإن القدر الأكبر من ذلك الانخفاض سيكون ناتجا عن التحول من الفحم إلى الغاز، وليس من خلال بناء مرافق طاقة متجددة، أو محطات نووية، أو مرافق احتجاز الكربون وتخزينه.

إن أكبر مشكلة تواجه أوروبا هي نسبة الانبعاثات، البالغة ٥٥٪، الواقعة خارج نطاق «مخطط تبادل الانبعاثات»، التي تَصدُر من المباني، ووسائل النقل، والزراعة، والنفايات؛ فتكاليف تغيير هذه القطاعات قد تكون مرتفعة، ناهيك عن ضخامة الصعوبات العملية في التنفيذ. فعلى سبيل المثال، إنّ خطط الاتحاد الأوروبي للحدّ من استهلاك الطاقة بنسبة ٢٧-٣٠٪ بحلول عام ٢٠٣٠، مقارنة بسيناريو العمل المعتاد، تُعدّ خططا طموحة بشكل مفرط. ويتعرقل سير العمل بسبب ضعْف لوائح البناء في البلدان الأعضاء، وسوء تطبيق الحد الأدنى من المعايير، والحساب المزدوج لوفرة الطاقة، الناتجة عن تداخل السياسات.

تكاد غالبية التعهدات تخلو من أي إشارة إلى السياسات المستخدمة، على نحو يصعب تحديد الفعال منها فعليا. فعلى سبيل المثال، قدّم الاتحاد الأوروبي معلومات قليلة عن عملية التعهد والتنفيذ المعقدة، السارية فعليا. كما أن الفجوة بين الوعود والأفعال كبيرة للغاية فيما يتعلق بالاستراتيجيات، التي تستخدمها الحكومات لتعزيز كفاءة استخدام الطاقة، والتي غالبا ما تكون تكاليفها الحقيقية غامضة. ورغم أنه يمكن تقييم أسعار المعدات بسهولة، فإنها غالبا لا تمثل سوى جزء صغير من إجمالي تكاليف استخدامها.

يتسم إطار عمل اتفاق باريس بالمرونة من حيث تصميمه، ويتعين على الحكومات الراغبة في تفعيل الاتفاق أن تعجّل بتحويل منظومة التعهدات - التي تمثل الركيزة الأساسية لإطار العمل - إلى عامل محفِّز فعّال للتعاون الدولي.

أولا: يتعين على الحكومات أن تترجم الحوار إلى إجراءات ملموسة، بغض النظر عن الأهداف الرقمية الكبيرة المرجوة من الانبعاثات، مثل خفض النسبة المئوية إلى معدلات أقل من المستويات الأساسية. وينبغي أن تكون التعهدات أطول أمدا، وأكثر تفصيلا، وتتضمن معلومات داعمة كثيرة عن الأعمال المطلوبة، ومن سيقوم بها، وموعد وكيفية تنفيذها، وتكلفتها. كما يجب منح اهتمام خاص لما تقوم به الحكومات لأجل تحفيز الاستثمارات الخاصة في التقنيات الجديدة. إن الأهداف الجريئة ما زالت تنطوي على أهمية كبيرة، بلا شك، إلا أن الحقائق أكثر أهمية.

ثانيا: لا بد من وجود مقاييس ومؤشرات ونماذج أكثر ملاءمة؛ لرصد السياسات الفعالة. وتمثل التكلفة أحد المؤشرات التي تستلزم ربطا أقوى بين الدراسات الأكاديمية، والعالم الواقعي. قد تشمل المؤشرات الأخرى تحويل مسار التجارة والاستثمار إلى صناعات «قذرة» ذات انبعاثات كربونية عالية، في أماكن أخرى في الخارج، قرابة السواحل أو بعيدا عن البلاد، ولا غنى عن ذلك لمواءمة سياسات المناخ مع سياسات الاستثمار والتجارة. كما أن هناك حاجة إلى مقاييس للاستثمار العام في مجالات البحث والتطوير. وبوجه عام، يجب توضيح معالم الجهود المتعهد بها للتأثير على القطاعات الفردية.

ثالثًا: سيسهل التركيز على السياسات الناجحة فعليًا تحديد المجالات التي يجب أن يزداد تعاون البلدان فيها. وتشمل السياسات المرشحة تدابير خفض تكاليف تكنولوجيات الطاقة المتجددة والفعالة؛ وبذل جهود لإيقاف إزالة الغابات (مثل تلك المرتبطة بصناعة زيت النخيل)؛ ووضع سبل للحدّ من جزيئات السخام، وغازات الدفيئة قصيرة العمر، مثل الميثان. وبالتركيز على مثل هذه النجاحات؛ ستجني الحكومات والشركات والأطراف المعنية الأخرى المزيد من الفوائد الملموسة، من جرّاء المشاركة في اتفاق باريس.

zainbalkalbany1212@gmail.com

الحجر الأساس للحضارة الإسلامية

• رية الخزيرية

لقد شاءت حكمة الله واقتضت إرادته أن يخلق البشرية ويُسكنها في الأرض ويُرسل إليها رسلاً ليعلموها بالقوانين والتشريعات الإلهية قال تعالى: ((قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)).

وقد حمل الرسلُ الرسالة الإلهية ونقلوها إلى البشرية على أكمل وجه، وقد لاقوا الكثير من الصعاب والعقبات التي اعترضت طريقهم في سبيل أداء الأمانة، وإن آخر الرسل محمدًا العظيم كُلف بأعظم مهمة وهي المهمة الرئيسة التي أوكلها الله لبني آدم في هذه البسيطة ألا وهي مهمة تبليغ الدعوة وإكمال مشوار الرسل الأخيار الذين أرسلوا تترًا من قبله.

وقد كانت رسالة محمد العظيم رسالةً خالدةً سجلت تاريخها وآتت أكلها في وقت قصير جدًا مقارنةً بسنوات دعوة امتدت ثلاثة وعشرين عامًا فقط فُتح خلالها جزءٌ كبيرٌ من الكرة الأرضية وأُحنيت أمام الحضارة الإسلامية التي بُنيت حضاراتٌ عظمى يحسب لها العالم ألف حساب.

وقد كانت لتعاليم الكتاب العظيم الذي أنزله الحق سبحانه على خاتم الأنبياء والمرسلين ألا وهو القرآن الكريم الأثر البالغ في تأسيس الحضارة الإسلامية التي امتدت منذ ساعة نزوله خمسة عشر عامًا، فقد كانت تعاليم القرآن الكريم الموجه الأول لوضع اللبنة الأساس في سبيل اعتلاء السماء والوصول إلى النجوم وبناء حضارة لا تتقهقر.

وفي مقال «أنموذج القرآن كحجر أساس للحضارة الإسلامية» للكاتب فاشري أيدولسيا والمنشور باللغة الإنجليزية في مجلة TSAQAFAh (عدد ١٦، مايو ٢٠٢٠) ما يؤكد على أهمية العودة إلى الحجر الأساس الذي انبنت عليه الحضارة الإسلامية.

وقد افتتح الكاتب مقاله بالحديث عن الضعف والفقر وغياب العدالة في الكثير من البلدان الإسلامية اليوم، وأرجأ ذلك إلى أن كثيرًا من علماء المسلمين يعيرون تمجيداً عظيمًا للحضارة الإسلامية دون النظر إلى تعاليم القرآن وما يأمر به وما ينهى عنه، وهذا مما نتفق فيه مع الكاتب إذ أن كثيرًا من مسلمي اليوم يدعون الإسلام ولكنهم يعطلون الكثير من أوامر القرآن الكريم ولو طُبق القرآن بحذافيره لكانت الحضارة الإسلامية في أوج قوتها وعزتها ولما تزعزت وشلت حركتها وتردت أوضاعها.

ويرى الكاتب أن تطور أي حضارة وانحطاطها يُعزى إلى التعليم والتطور العلمي وهذا هو الواقع فبقدر ما تكون الأمة متعلمة ومواكبة للتطور تتقدم الحضارة، والقرآن الكريم نزل مشجعًا للعلم والعلماء، بل ورفع قدر العلماء إلى أعلى عليين إن هم استقاموا على النهج المبين؛ ولذلك تجد الكثير من آياته العظيمة داعيةً إلى التفكر والتدبر والنظر والتبحر.

وأورد الكاتب ما ذكره ابن خلدون من أن الحضارة نتاجٌ لعدة عوامل من بينها: قدرة الحكومة السياسية، والتوظيف وإيجاد مصادر الرزق، والعلوم والتكنولوجيا.

وأرى أن هذه العوامل جزءٌ عظيمٌ من الأسس التي تقوم عليها الحضارة؛ فالحضارة التي تكون لها قوةٌ سياسيةٌ واقتصاديةٌ ولها نصيبٌ من التقدم الفكري والعلمي والتكنولوجي هي الحضارة التي تقوى ويطول عمرها ويبتعد عنها الأجل أما الحضارة التي يطالها الضعف السياسي ويطالها قلة مصادر الدخل هي حضارةٌ مهددةٌ بتزعزع كيانها وذهاب ريحها وانطفاء شمعتها.

وانتقل الكاتب إلى الحديث عن الإسلام فهو يرى أن الإسلام لا ينظر إلى نفسه كدين فقط وإنما كصانع للحضارة، وهذا ما يليق بالمسلم المعتز بإسلامه فهو إلى جانب التزامه بأوامر دينه إلا أنه لا يغفل الجانب العلمي والتكنولوجي ويسعى جاهدًا لتقديم أفضل ما عنده لخدمة البشرية جمعاء.

كما يشير الكاتب إلى أن الإسلام لا يعطل التقدم العلمي بل على العكس تمامًا فهو يساوي بين الناس وبين الأسود والأبيض ويأمر الجميع بالسعي الدؤوب إلى الاكتشاف والتعلم والرقي بالحياة البشرية، فالله خلق البشر لعبادته وعمارة الأرض ولا تتأتى العمارة إلا بالعلم والعمل.

وقد أشار الكاتب كذلك إلى تقسيمة ابن رشد لفترات نزول القرآن، حيث إنه قسمها إلى ثلاثة أقسام وهي:

١. القسم المكي في المرحلة المتقدمة: ولادة الإسلام في الحياة.

٢. القسم المكي في المرحلة المتأخرة: ولادة المعرفة كهيكل من منظور الحياة.

٣. القسم المدني: ولادة الحضارة الإسلامية.

وأتفق مع هذه التقسيمات إذ إن المرحلة الأولى من مراحل نزول القرآن كانت تستهدف تطهير العقيدة ليكون الإيمان واقرًا في القلب، والمرحلة الثانية كانت تستهدف فقه المرء لدينه والتوغل في العلم، والمرحلة الثالثة كانت تهدف لتأسيس حضارة إسلامية خالصة تحمل نور الهداية والعلم إلى العالم أجمع.

وقد كان الناس قبل القرآن في جاهلية عمياء، وبمجيء القرآن انتشلهم ليكونوا قادة العالم وفاتحي الحضارات العظمى كفارس والروم، وكل ذلك لأنهم انتهجوا نهج الكتاب الذي أُنزل من قبل إله عظيم جل جلاله، وعندما ابتعدوا عنه أبعد الله عنهم الفتوحات وعاد الكثير منهم إلى الجاهلية الأولى.

وعرج الكاتب إلى أنه عندما جاء القرآن لم يفرق بين الناس بل جمع شتاتهم تحت مظلة واحدة وجعل التسامح بينهم أساساً من الأسس التي لا ينبغي التفريط بها وكانت الكنائس تجاور المساجد فلا يعتدي أحدٌ على أحد بل ووصل الأمر إلى أن القرآن أمر بأن يؤخذ من الحضارات الأخرى ما يتناسب مع تعاليمه دون أن يعطل ذلك كليًا، وكذلك فإن القرآن حرم الاعتداء بغير حق، وجعل تشريعات تقض بنيان العداء وتكسر الحواجز بين الحضارات والحواجز بين الديانات.

وأخيرا طرق الكاتب باب انهيار الحضارة الإسلامية وكيفية الخروج من هذا الوحل، وأشار إلى أن الرجوع إلى الدستور الملكي القرآني هو المخرج الوحيد لرجوع هيبة الحضارة الإسلامية وروحها المفقودة التي تبحث عن ماء الحياة منذ زمن طويل؛ فلو طبق الناس تعليمات القرآن الذي أخرجهم من الظلمات إلى النور لكان ذلك باعثًا عظيمًا لولادة الحضارة الإسلامية من جديد واستعادة نشاطها وقوتها وعزتها.

ولو رجعنا بالتاريخ إلى الوراء لوجدنا أن الحضارة الإسلامية ما كانت لتخرج من مستنقع ظلمات الجاهلية الأولى لولا أن منّ الله عليها بنعمة القرآن الذي انتشلها، وكما قيل لا يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، وقد كان القرآن هو اللبنة الأساس لقيام هذه الحضارة فلا يمكن إعادة بنائها إلا أن وُضع الحجر الأساس نصب الأعين من جديد.

التَنْمية رحلة في المفهوم والنظريات

• باسم الكندي

ظَلَّت التنمية هاجسًا يُؤرِّق الكثير من دول العالم رغمَ أنَّ مفهوم التنمية مثلما يذكر عبد السلام نوير أستاذ العلوم السياسية بجامعة أسيوط في مقاله المنشور في مجلة التفاهم بعنوان (نظريات التنمية وأسباب التأزّم دراسة نقدية) بأن هذا المفهوم لم يُستخدم في عهد الاقتصادي آدم سميث إلا على سبيل الاستثناء، فقد كان يتم استخدام مصطلحات كالتقدّم المادي والتقدم الاقتصادي بدايةً ثم التحديث والتصنيع لاحقاً، ولقد بدأ التنظير لهذا المفهوم منذ أواسط ثلاثينيات القرن الماضي ولكن ذاعَ صيته أكثر بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة لظهور موجات التحرر الوطني للبُلدان المستقلة حديثاً؛

ونظراً إلى أنَّ النظريات الأولى للتنمية غلَّبت الجانب الكمي اليميني على الجانب الكيفي فقد تَكشّفت النتائج العملية البائسة لأتباع تلك التوجّهات، لذلك زادت تجارب التنمية ونظرياتها ولكن لم تكن نتائجها ناجحة كما هو مُتوقّع، الأمر الذي أوجدَ جدلًا مُتصاعدًا حول نظريات التنمية ومدى تأثيرها؛ فَأفرَزتْ حركة نقدية تجاه فكر التنمية سَنَعرضُها في هذا المقال وفقاً للآتي:

أولاً:الظروف التاريخية لظهور دراسات التنمية: تغيَّر مفهوم التنمية عبر الوقت حتى صارَ محلًا للنقاش من قِبَل ثلاث فئات رئيسة هي:

- الحكومات والمنظمات الحكومية والأفراد في العالم الثالث.
- الوكالات الدولية مثل وكالات الأمم المتحدة المختلفة.
- الأكاديميون في العالم المُتقدّم.

- إنَّ معظم ما تمَّ نشره حول التنمية كانَ يأتي من الفئتين الأخيرتين؛ لهذا كانت غالبية الرؤى المطروحة يَشوبها التحيّز، ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية اهتمَّ العلماء وصُنَّاع السياسة بمعرفة أسباب فقر بعض البلدان أكثر من غيرها؛ لِهَذَا وُلِدَ مجال التنمية الذي تطوَّر في مسارين أحدهما اسْتَهْدَفَ العلماءُ فيه جَعلْ التنمية حقلًا جديداً ومحوريًا في معظم فروع العلوم الاجتماعية، أما المسار الآخر فقد بدأ فيه السَّاسة والمواطنون لخلق مبادرات جديدة تُعزِّزُ التغيير الاجتماعي الإيجابي من خلال العمل كإعادة بناء أوروبا بعد الحرب والتقليل من بؤس الدول النامية وعليه سار اللاعبون الكبار وفقاً لهذا المسار كمنظمات الأمم المتحدة، وهكذا اتّجهت مفاهيم التخلّف والتنمية في مرحلتها الجديدة مُركّزةً على الجانب الاقتصادي، بعدها أصبحت التنمية تَتضمّن عدداً من المراحل المُتتابعة التي يتعيَّنُ على جميع الدول المرور بها مما أدى إلى ظهور الأفكار السوسيولوجية بوضوح في كل من نظريّة التنمية وممارسة التنمية بواسطة نظريّة التحديث التي دعا فيها مناصروها إلى تصدير الأموال والتكنولوجيا والتعليم الغربي إلى الدول الفقيرة لتنميتها؛ غيرَ أنَّ ذلك لم يحدث بل ازدادت تبعية هذه الدول للسوق الرأسمالي العالمي في الخمسينيات والستينيات حتى ظهرت أصواتٌ تُنادي بانضمام هذه الدول إلى الثورة الاشتراكية، كما دعا آخرون إلى قيام هذه الدول بتنمية اقتصادها الصناعي لتحسين وضعها.

- وفي بداية الثمانينيات بَدا واضحًا تراجعُ اهتمام الدول بالبُعد الاجتماعي في دراسات التنمية وتزامنَ هذا التراجع مع تَعرّض الكثير من دول العالم النامي لأزمات ديون وفشل للأسواق؛ لارتفاع معدلات التضخّم وسيطرة المستثمر الأجنبي على اقتصادها؛ حتى صارت أسيرةً للمنظمات الإنمائية الدولية التي خنقتها بالديون، كما قَلَّلت الدول المتقدمة معوناتها للدول النامية مما جعل هذه الدول تُحس بضخامة تأثير العوامل الخارجية على أوضاعها مما أعطاها فرصة لمراجعة نشاطها الاقتصادي؛ فظهر من يُنادي بتقليل تدخّل الحكومة في السوق بينما نادى آخرون بأنَّ الأمر لا يَتطلّب ذلك بقَدر ما يحتاج إلى مراجعة أساليب هذا التدخّل لزيادة كفاءته، أما في التسعينيات فَمعظم الدراسات الإنمائية تحوّلت إلى تحليلات للعولمة مما شتَّتَ العمل التنموي وقام بتهميشه.

- ثانيًا:التنمية، تطور المفهوم واتساع المجال: تطوّرَ مفهوم التنمية منذ ظهوره، فالتنمية في مرحلتها الأولى كانت تعني النمو الاقتصادي، وفي السبعينيات تَمَّ تدشين المفهوم الأوسع للتنمية في مرحلتها الثانية وأصبحت تعني التنمية البشرية رغم اقتصارها على الجوانب المادية فقط ومع نهاية الثمانينيات كانَ هناك تياران مختلفان بشأن التنمية أولهما ركّزَ على النمو الاقتصادي استنادًا لتوافق واشنطن أساسًا وقد تبنّاه صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، أما التيار الثاني تبنّاه برنامج الأمم المتحدة للتنمية وجعلَ الإنسان في صُلب العملية التنموية، ويُمكن القول أنَّ مفهوم التنمية البشرية تبلوَرَ بشكل كامل في مطلع التسعينيات مع إصدار سلسلة تقارير التنمية البشرية من طرف برنامج الأمم المتحدة للتنمية، وأصبحَت تُعْرَف بأنها عملية توسيع خيارات الناس مع التركيز على ضرورة تحسين المعرفة وتوفير حياة طويلة وصحية لهم، أما المرحلة الثالثة فقد كانت التنمية البشرية مرتبطة بما يُسمى بالتنمية المستدامة التي تَسْتَدعي وجود توازن بين السكان من ناحية والموارد المُتاحة لهم من ناحية أخرى.

- ثالثًا: نظريات التنمية: شهدَ الفكر الاجتماعي التقليدي الكثير من الإرهاصات والإسهامات المتنوعة مَهَّدت لتبلوَر الفكر التنموي حتى ظهرت الكثير من النظريات المرتبطة به مثل:

أ-النظريات التطورية: وتقوم على أن المجتمعات تتغير من الشكل الساذج إلى أشكال أكثر تعقيداً في خط مستقيم وأنَّ كل مرحلة متعاقبة تكون أفضل من سابقتها وهي تُمثّل انعكاساً لنظرية التطوّر لتشارلز دارون التي تَلقَّفَها عددٌ من المفكرين، وقد واجهت هذه النظريات انتقادات منها صعوبة تطبيقها على حالات تاريخية متنوعة كما أنها تُصوّر عملية التنمية بصفتها عملية تدريجية هادئة ولا تُقدّم أفكاراً لفهم تحديّات التنمية وتَتَجاهل ظروف الدول المُستَعْمَرَة أيضاً.

ب- نظريات التحديث: وترى أنَّ التنمية ما هي إلا عملية تحديث أي عملية تغيير لمختلف نواحي الحياة للمجتمعات عن طريق زيادة الإنتاج الاقتصادي، ومما يُؤخذ عليها غموض بعض مفاهيمها وتَتَطلَّبُ من المجتمعات النامية التخلّي عن مظاهرها الثقافية، كما تَتَجاهل عامل الاستعمار وتُشجّع بقاء هذه الدول كأسواق مُستَهلكةً وتَنْشر الثقافة الغربية فيها.

ج- نظرية التبعية وتقسيم العمل: وتَفْتَرضُ أن التخلّف لا يُمثل الحالة الأصلية للمجتمع في العالم الثالث، بل نشأ من خلال أساليب الخضوع للنفوذ الرأسمالي، بمعنى أنه نشأ تدريجيًا مع التطوّر في المركز الرأسمالي المُتقدّم، وبالرغم من نجاح هذه النظرية في تفسير التخلّف وعوامله اعتراها بعض القصور لتركيزها على دور العوامل الخارجية ولم تربطها بالعوامل الداخلية كما أنها تقول كلما انخفضت تَبعية دولةٌ ما ازدادت القدرة للتنمية وهذا ليس بالضرورة واقعٌ فعلاً.

- المداخل المعاصرة المرتبطة بالعولمة: أدَّتْ العولمة منذ ظهورها إلى تلاشي الحدود والمسافات وأصبَحتْ الحياة في العالم كقرية صغيرة بفعل التكنولوجيا، صاحَبَ ذلك ظهور نظرية النظام العالمي التي شملت جانباً تفاؤليًا في علاقات العمل والتفاهم المشترك إلا أنَّ هذه النظرية اُعتُبِرَتْ كأداة للتغريب ووسيلة لنشر الهيمنة الأمريكية، ونتيجةً لفشل الأساليب الكلاسيكية المُتَّبعة لمعالجة التخلّف في الدول الفقيرة بدأ عدد من العلماء مناقشة ما أطلقوا عليه (نهاية عصر التنمية) وظهر مفهوم (ما بعد التنمية) بوصفه التوجّه المناهض لفكر التنمية السابق الذي فَشلَت نظرياته، وفي ظل ما نعيشه اليوم من تداعيات جائحة كورونا نجد الكاتب يُشيرُ إلى أنَّ فكرة الاعتماد المُتبادل ليست صالحة في كل الأحوال، كما أنَّ حالة الإغلاق التي شهدَها العالم جعلته يواجه تحديًا كبيراً لتوفير الغذاء للشعوب واستمرار هذه الأزمة سيُعمّق خطورة هذا الجانب، الأمر الذي يَدفعُنا إلى العمل بجدّية لتحقيق الأمن الغذائي لدينا أيضًا لأهميته القصوى.

الذكاء الاصطناعي سلاح ذو حدين

• سليمان العبري

ترتبط حياة البشرية ارتباطاً كبيراً بالتقنية، ويتطور استخدامها، ويختلف حسب الحاجة إليها، ومثال على هذه التقنية الذكاء الاصطناعي كما تطرق إليه حسن العمري في مقاله بعنوان (الذكاء الاصطناعي ودوره في العلاقات الدولية) المنشور في المجلة العربية للنشر العلمي، العدد ٢٩، آذار ٢٠٢١. ويعرف بأنه عبارة عن آلات مطورة من قبل الباحثين في مجال التكنولوجيا؛ لمواكبة الذكاء البشري، وتعتمد هذه الآلات على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) المرتبطة بقواعد البيانات المخزنة في تلك الآلات المبرمجة، والمعلومات العالمية التي توفر مجالاً واسعاً للمعرفة، وتحاكي الذكاء البشري في شتى مجالات الحياة؛ بحيث تكون فائقة السرعة في تخزين، ونقل، واسترجاع المعلومات من حيث توقع الأحداث لكل وضع من الأوضاع والتعامل معها بكل سرعة، وسهولة وتفادي أي أخطاء تحدث.

يُعد الذكاء الاصطناعي أحد علوم الحاسب الآلي المعاصر ويستطيع حل المشاكل في فترة قصيرة جداً، ولايستهلك جهدا كبيرا؛ ومن أجل ذلك، يسعى الخبراء لجعل الحاسوب بديلا للإنسان في المستقبل القريب، ويتم الاستغناء عن الإنسان في الفترة القادمة والتي سوف تشهد تطورا كبيرا جدا في جميع المجالات، وأيضاً اعتمدت علوم الحاسب الآلي على تراكمات المعلومات المخزنة على شبكة الإنترنت.

تطرق الكاتب في مقاله إلى تاريخ الذكاء الاصطناعي، وأنواعه، وفوائده وسلبياته في العلاقات بين الدول، وتطويره في مجالات أخرى.

تم اكتشاف مصطلح الذكاء الاصطناعي في عام ١٩٥٦ من قبل العالم جون ماكارثي، حيث تم عقد المؤتمر العلمي في جامعة دارت موث في الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت بداية ظهوره في عام ١٩٧٣م كبرنامج لمعالجة الكلام والرد والنقاشات، أما في عام ١٩٨٠م فقد تم التوصل إلى تفعيل نظام الذكاء الاصطناعي في تحميل البيانات، واستقبال الأوامر واسترجاعها على نطاق واسع وملحوظ، وتم عقد مؤتمر في البيت الأبيض في الولايات المتحدة الأمريكية حول الذكاء الاصطناعي؛ لتوفير ما تتطلبه الحكومات في العديد من المجالات، وأهمها تلك المجالات التي تقوم على تحسين العلاقات الدولية؛ لينعم جميع الشعوب بالأمان والراحة في ظل التطور المستمر. وهناك نوعان من الذكاء الاصطناعي وهما الذكاء الاصطناعي (الضيق أو المصور)، والذكاء الاصطناعي المتعدد أو فائق السرعة. ويتم النوع الأول في مجال واحد فقط، ومثال عليه نظام التواصل الاجتماعي المحصور في تحميل الصور، وإرسال الرسائل، وغيرها بما يخص هذا المجال، أما بالنسبة للنوع الثاني، فهو يعد من الجيل الثالث من الذكاء الذي يتفوق على الإنسان في مجال معالجة المعلومات، والبيانات، وتوقع الأحداث في ظل الظروف المستقبلية على النحو الاقتصادي، و السياسي، والمناخ إلخ..؛ حيث يضع المعلومات والحقائق المنمطة من التحاليل أمام المسؤول الأول لمستخدم هذا الذكاء، والتصور في إتاحة المجال لبناء العلاقات الدولية بتصور علمي متطور، وحل الخلافات بطريقة سلمية وسلسة جدا على الإطار الإقليمي والدولي.

إن مجال تقنية الذكاء الاصطناعي في عصرنا الحالي في تسارع مستمر جدا ومتطور على نطاق واسع؛ ويتميز بفوائده الكثيرة والعكس؛ وتكمن فوائده في المساعدة في التعرف على صيغ الكلام، واستخدامه في البرمجيات: كبرمجيات الشبكات العصبية، والاتصالات. ليس ذلك فحسب، بل كان للذكاء الاصطناعي دور كبير في تحسين الاقتصاد في بعض الدول؛ فقد لعبت الصين دورا كبيرا في احتواء هذا المجال المتطور، واستخدامه في التوسع الاقتصادي، والذي بدوره جعلها تظهر بين الدول بجانب القوي والذي لايمكن منافسته، فقامت بالسيطرة على نطاق تطوير خطة تقوم بإنعاش السوق التجاري الصيني من حيث التوريد، والإنتاج والاستهلاك في فترة قصيرة جدا، كما شهدت تقنية الذكاء الاصطناعي على اتحاد الصين مع روسيا في تطوير روبوت يقوم بعمل الفرد البشري في مجال الإعلان في النشرة الإخبارية وذلك في عام ٢٠١٩م، وهذا العمل يفتح مجالا واسعا في العلاقات الدولية على مستوى الدبلوماسية في صنع السلام للشعوب، كما ساعد في تحسين الطاقم العسكري والقدرة الدفاعية لرد أي أمر يعكر مجال السلام بين الشعوب، حيث تستخدمه الدول في بناء علاقات سلمية واسعة التصور العلمي، والاقتصادي، والأمني، ويمر تعزيز التعاون بين الدول في تطوير الذكاء الاصطناعي بمراحل نظرية وتطبيقية؛ لتكون مخرجات الاجتهاد مثمرة جدا من ناحية علمية مبنية على أساس علمي بحت، وتساهم في الاستفادة من الذكاء الاصطناعي في تمكين العلاقات الدولية كما يتوقع العاملون في هذا المجال الانتهاء من العمل خلال العام ٢٠٢١م. أما من الناحية السلبية، فنجد أن بعض الدول ساهمت في استخدام الذكاء الاصطناعي في تدمير الدول الأخرى؛ وذلك من خلال قيام العلماء بدراسات معقدة جدا بحيث تساوي تعقيد الذكاء البشري أو تفوقه تعقيدا، ومن حيث تلقي المعلومات ومعالجتها وسرعة إيجاد الحلول المنوطة على الوضع الذي يتعرض له الذكاء الاصطناعي، وكما تمثلت إساءة استخدام الذكاء الاصطناعي بين الدول بين حكومتين في مجال التجسس بين روسيا وأمريكا؛ حيث اتهمت أمريكا روسيا بالتجسس عليها بواسطة مجال الذكاء الاصطناعي في مسألة الانتخابات الأمريكية بوصفها أنها تتلاعب بالنتائج عبر وسائل الإنترنت.

يسعى العلماء لتطوير نظام يحاكي العقل البشري عن طريق اختبار ردة الفعل في الجهاز العصبي، والسرعة الفائقة للاستجابة للظروف التي تحيط به، والكمية الهائلة لتخزين المعلومات، واللغات لجميع أنحاء العالم، كما يساهم هذا النظام في حمل عبء الحياة عن الكائن البشري على وجه الأرض، وتزويده بكافة المتطلبات، والسعي المستمر والمتواصل لجعل الحياة سهلة بتطوير أساليب الراحة للشعوب. ولايقتصر هذا الأمر على المجال العسكري ولكن أيضا تجاوز البنوك والمحاسبات من حيث معالجة بيانات إدخال المبلغ، والتحويلات بطريقة سهلة وسرية - كما نرى - عن طريق برامج متصلة بالحساب البنكي وهذا أمر ملموس في عصرنا الحالي، ولايمكن التغاضي عنه بتاتاً، وأيضا في مجال الدراسة وواقعنا الحالي، ودليل على ذلك، مجال الدراسة عن بعد وكيفية معالجة البيانات والتواصل الاجتماعي بين الطرفين- الطالب والمعلم.

h98273049h@gmail.com

الإعلام الجديد

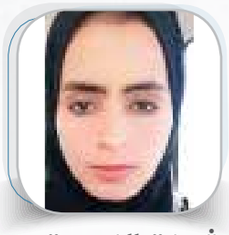

• شيخة النهدية

لقد غزت ثورة المعلومات أرجاء المعمورة كلها، فلم تترك أيّة رُدهة أو ركن من العالم إلا وأصابته بشظى عولمتها، حتى سمّى هذا العصر باسمها (عصر المعلومات)، ولعلّ قطاع الإعلام هو أكثر حقول المعرفة حظا في الاستفادة من تطور التكنولوجيا، فبالمشاركة بين المعلومة والتقنية نشأ (الإعلام الرقمي) ، وباتحاد الخبر والحاسوب ظهرت (شبكات التواصل الاجتماعي).

غيّر الإعلام الجديد مسار تبادل المعلومات، فابتدع فضاء واسعا للخطاب الإعلامي تغيب فيه الرقابة الصارمة والحدود الفاصلة، وسهل لصناع الخطاب التواصل مع شريحة أكبر من الجمهور.

لقد ناقش أحمد خالد شكري ووليد حسين عبد الله تأثير الإعلام الجديد على الأسرة والمجتمع الإسلامي، في بحثهما «أسرنا ومجتمعاتنا والإعلام الجديد بين معاول الهدم وآفاق البناء» (مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية المجلد الخامس - العدد الثاني فبراير ٢٠٢١).

لقد بلغ عدد مستخدمي «توتير» مئتي مليون عام ٢٠١١، وفي العام نفسه أرسلت ١٧٧ مليون تغريدة في اليوم الواحد، فيما بلغ عدد مشتركي «لينكد إن» مئة وعشرين مليونا عام ٢٠١١، ونسبة ٨٦ ٪ من طلبة الجامعات يتأثرون سلباً بالتعامل مع الإنترنت، وقد قفزت هذه الأرقام لاحقاً: فقد بلغ مستخدمو الفيس بوك أواخر عام ٢٠١٩ (٢,٥ مليار مستخدم)، ووصل عدد مستخدمي تويتر عام ٢٠٢٠ (١,٣ مليار)، أما لينكد إن فوصل عدد مستخدميه (٦٦٠ مليون) عام ٢٠٢٠.

من هنا تبرز أهمية توعية مستخدمي الإعلام الجديد بالأساليب المتبعة في استقطاب الشباب في القضايا الفكرية.

ماهية الإعلام الجديد:

توصل الباحثان من خلال جملة من التعريفات إلى أنَّ:

الإعلام الجديد (يعدُّ ظاهرة إعلامية جديدة يشتغل في فضاء افتراضيّ، يتجاوز فيه حدود المكتوب والمسطور إلى أطياف الصوت والصورة يتميز بسرعة الانتشار والوصول إلى أكبرعدد من الجمهور وبأقصر وقت ممكن وأقل تكلفة، إنه منجز معرفي تنصهر فيه الفكرة والمعلومة مع تقنيات الاتصال السمعية والبصرية الحديثة على نحو غيّر علاقة الإنسان بالمعلومة والزمن والمسافة).

ميزات الإعلام الجديد:

إمكان التّفاعل مع الخبر بإبداء الرّأي ونشره إما بشكل فوريّ أو قريب منه، ويدخل فيه المنتديات الإلكترونية التي تتيح لمن يسجّل فيها المشاركة في الحوار والنقاش.

سرعة الحصول على الخبر والتواصل مع الآخرين، مقارنة مع الإعلام التقليدي.

رفع الرّقابة والقيود عن الأخبار والمعلومات.

انتشار التعلم الذاتي: من خلال البحث في المكتبات الإلكترونية في وقت قصير، وسهولة التعامل مع النصوص بالنسخ، واللصق، والحفظ، والتعديل.

وضوح الصورة وإمكان التّحكم فيها بالتعديل والتطوير والتغيير في الصورة، وإمكانية عرض الصور المتحركة بتقنية 3D و HD.

سهولة انتقاء المادة العلميّة والإعلاميّة المناسبة والحصول عليها في أي وقت.

سرعة تطور التقنية من الراديو والفيديو الكاسيت إلى الإنترنت والهواتف الذكية.

أثر الإعلام الجديد على الأسرة:

تعتبر الأسرة نواة المجتمع؛ لذلك سعى الإعلام الجديد لإرضاء أفرادها، وساهم مع البيت والمدرسة والمسجد في عمليّة البناء والتّنشئة التربويّة، وفي تنمية قدرات أفرادها للانخراط في المجتمع.

فالحرية المطلقة في خطاب الإعلام الجديد مكنته أن يتبوأ هذه المكانة الرفيعة، فقد استطاع أن يصل للمتلقي أينما كان وفي أي وقت فاحتل مكانا في كافة ميادين الفكر والثقافة والترفيه، وسيطر على العقول والعواطف حتى استسلم الطفل لهذا الموجّه الجديد والذي أصبح في بعض الأوقات يقوم بدور الأب والمعلم والمدرسة.

يعد الأطفال أكثر أفراد الأسرة تأثراً بمضامين خطاب الإعلام الجديد، فقد وجدوا فيه ما يملأ فراغهم، وينمي معرفتهم من خلال الألعاب والبرامج التثقيفية والشبكات الاجتماعية، وشجع لديهم الدافعية نحو البحث والتعلم وطرح التساؤلات وتبادل المعلومات، الأمر الذي ساعد على توسيع مداركهم وقدراتهم العقلية، كما حفزهم على التعبير عن آرائهم.

بالرغم من فوائد الإعلام الجديد إلا أنَّه يحمل في طياته الكثير من المخاطر منها ما يتعلق بتعرضهم للتحرش والابتزاز والاستغلال الجنسي من قبل ضعاف النفوس، كما يخلق بداخلهم حالة نفسية متوترة بين ما يشاهدونه وما تربو عليه، كما قد يخلق منهم شخصاً انطوائياً، بالإضافة إلى تأثرهم بمشاهد العنف والمشاهد الإباحية، كما يشتت التنوع غير المسؤول عقولهم، ويؤثر على القيم والعادات الاجتماعية فيبث السموم في الأسرة المسلمة ويزعزع تماسك المجتمع.

أثر الإعلام الجديد على المجتمع:

المجتمع هو مجموعة من الأفراد والجماعات تعيش في موقع جغرافي واحد وتربط بينهم علاقات اجتماعيّة وثقافيّة ودينيّة.

لقد تأثرت المجتمعات بالإعلام الجديد من ناحيتين:

الإيجابية:

اختصار الجهد والوقت مما يؤدي إلى كثرة الإنجاز.

تعامل جميع فئات المجتمع مع هذه التقنية: كبارا وصغارا، ذكورا وإناثا، أغنياء وفقراء، في المدن والقرى والبوادي مما أدى لتيسير التواصل ونقل الأخبار والمعلومات بسرعة فائقة.

زيادة وسائل الترفيه والترويح: فمنها النافعة التي تشجع على التفكير وإعمال العقل.

التفاعل مع الآخرين والتواصل مع الأفراد والمجتمعات وتبادل المعلومات.

ذيوع الإعلام وعدم انحصاره في السلطة: يقصد به عدم احتكار مصدر المعلومة وطريقة بثها، فبإمكان أي شخص أن ينشر الخبر المتعلق به أو بمجتمعه دون الحاجة إلى موافقة أو إذن مسبق مثلا عن طريق هشتاق أو فيديو.

السلبية:

فتور أو انقطاع العلاقات الاجتماعيّة: فقد انشغل الناس بأجهزتهم بدل التعارف ومساعدة الآخرين أو الاستماع إليهم.

ظهور المشاكل الصحية فقد حذر الأطباء والمتخصصون من خطر الأجهزة الحديثة على الصّحة وتسببها بآلام الرقبة والمفاصل والعقم والأذن والقلب والتوترات العصبية.

انتشار الجرائم الإلكترونيّة

ضياع الحقوق الشخصيّة لصاحب الفكرة.

الغزو الفكري وتكريس العولمة: لم تعد الحدود الجغرافية قادرة على منع تداول ونقل المعلومات بين الناس بدون إذن، وأصبحت المواقع الدّاعية إلى الأفكار المنحرفة والإلحاد والتشكيك في الدّين مفتوحة أمام من يرغب بالدخول إليها والتّعلم منها.

التأثير في السّلوك والقيم: من خلال المعلومات والصور غير اللائقة

الانطواء والسّلبيّة نحو الآخرين والإدمان ممّا يحدث مع الوقت فجوة في العلاقات بين الأجيال.

انتشار الفساد الخلقيّ.

من خلال معرفة الآثار السلبية والإيجابية للإعلام الجديد نستنتج ضرورة ترسيخ دور الأسرة والموجهين والعاملين بقطاع الإعلام لمواجهة خطر هذا الإعلام.

sam992alnahdi@gmail.com

مشكلة الإنسان هي الإنسان

• هاجر السعدية

تشكل وسائل التواصل الاجتماعي أحد أشكال ثورة التقنية في القرن الحادي والعشرين؛ نتيجة ما أحدثته هذه الوسائل على جميع الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأمنية والفكرية من تغيرات جذرية في المفاهيم الكلاسيكية التقليدية. هذه التقنية جعلت العالم مفتوحاً على شاشة الهاتف الذكي، فالمجتمعات اليوم يُعاد صياغتها وتشكيلها وفقاً للواقع الذي أفرزته وسائل التواصل الاجتماعي، وهذا ما جعل وسائل التواصل الاجتماعي من القضايا التي تصدح في قاعات اجتماعات الوزارات والهيئات الحكومية والخاصة، وتمثل سجالا عاما في مجالس الأصدقاء والأسر، ومحط اهتمام الباحثين العلميين في مختلف التخصصات بسبب حالة التقويض والتغيير التي تحدث في المفاهيم الكلاسيكية وامتدادها في كل مجال. وبطبيعة الحال لكل ظاهرة أو فكرة جديدة في مجتمع ما أنصارها وأعداؤها أيضًا. ومن الباحثين الذين درسوا هذه الظاهرة الباحث: عمار حمشو في الربع الأول من عام ٢٠٢٠م، حيث جاء عنوان مقاله العلمي (وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها على الأسرة المسلمة) المنشور في مجلة مقارنات، العدد الثامن. فتكونت دراسته من ثلاثة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول مفهوم وسائل التواصل الاجتماعي ومراحل تطورها. المبحث الثاني: آثار وسائل التواصل الاجتماعي. المبحث الثالث: دراسة بعض آثار وسائل التواصل الاجتماعي المؤثرة في الأسرة من ناحية فقهية.

يعد مفهوم وسائل التواصل الاجتماعي غنياً عن التعريف، يردده رجل الشارع قبل الباحث في يومياته بكثرة لموازاته لفكرة العيش؛ فوسائل التواصل الاجتماعي تشكل العالم الافتراضي الذي نعيشه وتوازي العالم الواقعي من حيث قدرتنا على تبادل الأفكار والمشاعر والتفاعل، فهي مجتمعات افتراضية عبر شبكات الإنترنت- مجال عام افتراضي- تجمع مجموعة من الأفراد يحملون الاهتمامات نفسها ويتبادلون الخبرات والمعلومات.

تتنوع شبكات التواصل الاجتماعي؛ حيث يرتكز كل منها على شكل من أشكال التواصل الإنساني، فهناك التواصل عن طريق الكتابة والصور والتسجيل الصوتي ومقاطع الفيديو، والحقيقة لا يمكننا حصرها نتيجة تزايدها ولكن ثمة مواقع تعد الأبرز في هذا المجال وهي:

فيسبوك: يساعد على تبادل المعلومات والصور الشخصية ومقاطع الفيديو.

تويتر: يقدم خدمة التدوين المصغر التي تسمح بإرسال تغريدات عن الحالة.

واتساب: تطبيق مراسلة فورية متعدد المنصات للهواتف الذكية، ويمكن المستخدمين من إرسال الصور والرسائل الصوتية والفيديو والوسائط والمكالمات.

إنستجرام: تطبيق مخصص لالتقاط الصور وتعديلها ومشاركتها، وأضيف إليه مؤخراً ميزة المحادثات بالرسائل النصية والصوتية أيضاً.

تيلجرام: يتيح للمستخدم إمكانية تبادل الصور والفيديوهات والرسائل بسهولة وبسرعة عالية، يتميز هذا البرنامج باهتمامه بالناحية الأمنية للخصوصية. فهو أكثر التطبيقات أماناً في تبادل المعلومات.

وفي المبحث الثاني عكف الباحث على ذكر الآثار السلبية والإيجابية لوسائل التواصل الاجتماعي، وفي الحقيقة هي نفسها التي ترد في أي مجال عام سواء كان افتراضيا أو واقعيا؛ فالمستخدم ينتفد ما يستخدمه من هذه الوسائل.ويبدو أن الآثار السلبية والإيجابية متشابهة في جميع أقطاب العالم مع اختلاف الجعرافيا والثقافة والدين إلخ. فالآثار السلبية التي أشار إليها الباحث على صعيد الأسرة هي:

ارتفاع نسبة الطلاق بسبب وسائل التواصل الاجتماعي: فالقانونيون أوضحوا أن أسبابا عديدة تقف وراء تفاقم مشكلات الطلاق والخلافات الاجتماعية وفي مقدمتها تأتي مواقع التواصل الاجتماعي.

ضعف العلاقات الأسرية والعزلة النسبية للأسرة.

ازدياد الخيانة الزوجية

القضاء على صلة الأرحام والزيارات بين الأقارب

غياب التهنئة الشرعية

ضعف المستوى الدراسي

اصطناع الشخصية الوهمية الكاذبة

كثرة الأمراض الجسدية

وعلى الضفة الأخرى ذكر الباحث الإيجابيات، ويمكننا تلخيصها في: تدعيم العلاقات الأسرية داخل العائلة، تسهيل الزواج من خلال التعارف عبر هذه الوسائل، إبرام العقود بواسطة هذه الوسائل، اكتساب الخبرات وتكوين الصداقات، وسيلة لترميم الود بين أفراد الأسرة، وسيلة تعليمية لأفراد الأسرة، مد أواصر الصداقة بين الأصدقاء القدامى، زيادة الحصيلة اللغوية واستخدام مفردات جديدة لأفراد الأسرة، تعد مصدرا للمعلومات والأخبار للأسرة، البحث عن الفرص، عقد المؤتمرات والاجتماعات.

وفي سبيل الحد من الآثار السلبية، خلص الباحث إلى وضع ضوابط وإرشادات عند استخدام وسائل التواصل الاجتماعي تمثلت في الآتي: تجنب الخضوع واللين في القول من الجنسين، عدم تشبّه النساء بالرجال أو الرجال بالنساء خاصة في الأسماء (الاسم المستخدم)، عدم وضع المرأة صورتها أو صور عائلية تجنباً للخلافات الأسرية، انتقاء الرموز التي لا توحي بالحب والغرام خاصة عند الحديث مع الجنس الآخر، الاكتفاء بين الجنسين بالاتصال الإلكتروني الكتابي دون الصوتي، عدم استخدام تعبيرات المزاح والدعابة أو كلمات المغازلة والإيماء التي تدفعهما إلى التماس الاتصال والالتقاء كما لاينبغي أن يختم أحدهما عبارته برسمة قلب أو وردة، احترام التخصص العلمي وعدم النشر في غير التخصص وترك الخوض في التعليقات التي لاصلة له بها، الصبر وتحمل الأذى، فمجال التواصل الإلكتروني يعج بالشتائم فلابد من الصبر. وفي نهاية هذا المبحث يطالب الباحث المؤسسات الدعوية والثقافية أن تبين وتعمم هذه الضوابط للارتقاء بأساليب التعامل مع هذه الوسائل.

وفي المبحث الأخير تطرق الباحث إلى مسألة إبرام عقد النكاح وحكم الطلاق عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وخلص إلى أنه لا يجوز إبرام عقد الزواج كتابة أو نطقاً بدون اتحاد المجلس افتراضيا عبر هذه الوسائل، كما يصح عقد النكاح بمكالمة صوتية مباشرة يسمعها الشهود وتتوافر فيها الشروط والأركان ويجوز الطلاق عبر هذه الوسائل لأنَّ الطلاق لا يحتاج إلى شهود.

يعد هذا المقال بالنسبة لي مستفزا جدا؛ من خلال محاولة الباحث أسلمة وأدلجة وسائل التواصل الاجتماعي حسب المفهوم التقليدي للإسلام، وهذا ما يعكس صفة التزمت والجمود في الفكر. وهنا تبرز الحاجة إلى ضرورة تجديد في الخطاب الديني. لا يمكننا التعامل مع معطيات الحياة في الوقت الراهن وفق صياغة يجب أو لا يجب، حلال أو حرام إلخ، بل علينا أن نتعامل مع أحداث اليوم ومع الأجيال الجديدة وفق التفكير المنطقي والعقلاني الذي يتيح باب السؤال والاستفسار والأخذ والعطاء في مسألة ما. هل يمكن معالجة ظاهرة كتابة الأسماء المستعارة في وسائل التواصل الاجتماعي من خلال عملية النصح التي تتضمن أسلوب الحلال والحرام؟ قبل الإقرار في أمر ما يجوز أو لا يجوز علينا أن نفكر قليلا: ما الذي يدفع المرء إلى التخبي تحت ستار اسم أو شعار غير اسمه؟ وصورة غير صورته؟ قد يكون الأمر أبعد كثيراً عن التفسير الديني الذي يصف الفعل تشبها بالجنس الآخر دون الغوص في العوامل الذي شكلت هذا الفعل.

في الحقيقة ما نراه في وسائل التواصل الاجتماعي من ظواهر تتسم بالسلبية هي نتيجة البراديغم الثقافي والاجتماعي الذي يعيش فيه المرء، فإذا حدث طلاق أو تفكك أسري بسبب وسيلة التواصل الاجتماعي فإن ذلك يعني وجود مؤشر حقيقي يشير إلى خلل في البراديغم الثقافي والاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد، ولا يمكننا القول إن الفيسبوك أدى إلى زيادة حالات الطلاق طالما هناك وجود أفراد مستفيدين من هذه الوسائل وتتعامل معها حسب ما ترتأيه مصلحتها النفسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وحذف فيسبوك لا يحذف المشكلة أيضا. مشكلة الإنسان هي الإنسان، جميع ما نراه من ظواهر في المجتمعات هي عبارة عن مجموعة من ممكنات الإنسان في مختلف العصور ومع تعدد الظروف.

hajirwork@outlook.com

تمثلات الهويّة في الأدب والثقافة العُمانيّة

• نادية اللمكية

نشرت الباحثة والأكاديميّة البولنديّة باربرا ميتشالاك بيكولسكا مقالا باللغة الإنجليزية بعنوان «الهويّة في مخرجات الحياة الأدبية والثقافية في عُمان» في العدد الخاص من مجلة « Studia Litteraria Universitatis Iagellonicae Cracoviensis » وهي مجلة سنويّة محكمة تصدر عن جامعة ليتريريا البولنديّة، مختصة بنشر المقالات البحثيّة في اللغة والأدب والنقد. يناقش المقال جملة العناصر المكوّنة لهوية الأديب العُماني، والانعطافات التاريخيّة والثقافيّة التي مر بها في مراحل زمنيّة مختلفة وأثر ذلك على تكوين هويّة الأدب العُماني، مركزًا على نماذج من أدباء العصر الحديث.

الهويّة في المفهوم العربي والعماني

بحسب الكاتبة، تمثل الهويّة مدخلا للتعريف بالأفراد والجماعات بناءً على انتماءاتهم الثقافيّة أو اللغويّة أو الدينية أو العرقيّة، وهي تتخذ زوايا مختلفةً من التعريف بناءً على الاختصاص الذي تدرس فيه وتناقش على ضوئه، وفي العالم العربي يرتبط مفهوم الهويّة ارتباطًا وثيقًا باللغة والدين؛ إذ إنّ القرآن وهو تشريع الدين الإسلامي جاء باللغة العربية، ما يجعل اللغة والدين وجهين لعملة واحدة؛ لذلك تمثل كلمة «عربي» المشتقة من المصدر «العربيّة» وهي اللغة، تصويرًا أوليًا شاملا عن العناصر الثقافيّة والدينيّة والتاريخيّة المكونة لهويته، ويسقط هذا التصوير أيضًا على الإنسان العُماني الذي تتشكل ثقافته وهويّته بدءًا من الدين واللغة، وتأخذ الكاتبة الشاعر أبا مسلم البهلاني نموذجًا للشعر الذي يمثل الهويّة الأصيلة، فالشاعر عاش بين زنجبار وعُمان وعاصر التحولات في المجتمع العُماني على الجانبين، فجاء شعره مزيجًا بين آرائه السياسية حول الإمامة والسلطة، وبين اتجاهه الديني، مستخدمًا لغة حديثةً ورصينةً مشتقةً من المعجم الديني، فكوّن ديوانًا ثريًا من القصائد الشعريّة، وهو يمثل -بحسب وصف الكاتبة- الأب الروحي للشعراء العمانيين في تلك الحقبة وما بعدها، وما زالوا يعرفون أنفسهم به كشعراء.

اتساع مفهوم الهويّة عند جيل أدباء الخمسينيّات

يمثل الجيل الثاني من الأدباء العمانيين فترة ما بعد الإمامة في خمسينيات القرن الماضي، وتذكر الكاتبة من بين أهم أدباء هذه المرحلة: أبو سلام الكندي، وسليمان السالمي، وعبدالله الخليلي، ويمكن ملاحظة تحول مفهوم الجذور والهويّة في أدبهم من خلال اتساع القضايا التي يناقشها؛ إذ يتجاوز الحديث عن عناصر المجتمع العُماني وطموحاته إلى مفهوم الوحدة العربيّة والإسلاميّة، فالشاعر والأديب يعالج في طرحه قضايا الأمة والشعوب العربيّة، ويتفاعل مع أحداثها، ويشارك برأيه في ما يجري من ثورات وحروب على أراضي الأمة الإسلاميّة.

وعلى الجانب الآخر أيضًا تمثل حقبة الستينيات مرحلةً مهمة في التاريخ العُماني بانتهاء الحكم العُماني البوسعيدي في شرق أفريقيا، وترى الكاتبة أن فكرة «الشتات» بدأت تظهر في الأدب العُماني مرتبطةً بانفصال هذا الجزء من الإمبراطوريّة العمانيّة عن عاصمة الحكم «مسقط»، فكانت مدخلا لأدب يصور رحلة العودة إلى الوطن الأم وبقاء أطلال دولة البوسعيد في زنجبار وما حولها.

كما تظهر هذه الحقبة من تاريخ الأدب العُماني هويّة الأديب بوصفه جزءًا يحمل خصوصيّةً مرتبطةً بمنطقة الخليج العربي، يظهر ذلك جليًا في كتابات عبدالله الطائي الذي يرى في المشترك الخليجي العربي وحدةً استطاعت أن تقف خلال فترات متعاقبة من الزمن في وجه البرتغاليين والفرس، مسترجعًا في أدبه بطولات الخليجيين وملاحمهم تجاه هذا العدو المشترك، وتظهر في كتاباته مفاهيم القوة والمجد والبطولة مستندًا على تاريخ من الصمود والمقاومة الذي كلل بطرد البرتغاليين والفرس من الأراضي العُمانيّة والخليجيّة.

تحول مفهوم الهوية عند أدباء النهضة

يتحول مفهوم الهويّة وتشكلاتها عند الأدباء من جيل النهضة ليعود أكثر ارتباطًا بالوطن؛ إذ إنّ الاستقرار السياسي وظهور ملامح التحسين الاقتصادي بتولي السلطان قابوس بن سعيد الحكم ولدت شعورًا مرتبطًا بالفخر والاعتزاز بتاريخ هذا البلد وملامح قوته، فيعرض الأدباء من أمثال: أبو سرور عبدالله بن حميد الجامعي التاريخ العُماني من خلال سرد أهم بطولات العُمانيين والوقوف على أبرز المحطات التي شكلت منعطفًا في التاريخ المجيد لعُمان ليصوروا عُمان الحديثة وهي امتدادٌ لما بناه العمانيون الأمجاد الأوائل.

فيما يحيل أدباء التسعينيات انتباههم إلى عناصر مختلفة، إذ يؤثر الاستقرار السياسي والتطور الاجتماعي والاقتصادي على نظرتهم لعناصر الهويّة وتشكلاتها؛ فيغدو الوطن والطبيعة والحب أرضيةً قامت عليها الكتابات الأدبية للأدباء من أمثال: سعيد الصقلاوي، وسيف الرحبي، ومحمد الحارثي، وعلى الرغم من اختلاف الأساليب اللغوية التي يكتبون بها يظل حب الوطن والتأكيد على المقومات التي تجمع العمانيين، القاسم المشترك الذي يجمع كتاباتهم.

الحراك الثقافي وتأثيراته على الهويّة

تناقش الكاتبة الأثر الذي حققه إنشاء النوادي الأدبية والثقافيّة على مستوى الحركة الأدبية والثقافية في عُمان، ومراحل تشكل هذه النوادي، وقدرتها على احتضان مواهب الشباب وتوجيه اهتماماتهم، واتصالها بالمؤسسات والمراكز الخارجيّة لتبادل الحوار حول مختلف القضايا والمفاهيم، واجتذابها مفكرين وأدباء وباحثين عالميين للمشاركة في الأنشطة والبرامج والندوات التي تنظمها.

وعلاوةً على ذلك تمثل الأنشطة الثقافية مثل المسرحيات والأمسيات الشعرية ومعارض الفنون والتصوير والموسيقى مدخلا ساهم ويساهم في إثراء الأدباء والفنانين والمثقفين ودفعهم نحو التفاعل والمشاركة في فضاء الثقافة مع أقرانهم بمختلف دول العالم، كما تحظى المرأة بمساحة أدبية وثقافيّة تتيح لها المشاركة بإنتاجها المعرفي والتفاعل مع ما يقدم من أدبٍ وثقافة في مجتمعها.

كما تعرض الكاتبة تطور الكتابة الصحفيّة في عُمان وقدرتها على التأثير في القضايا المختلفة، وتُشير إلى أن التنوع في الكتابة الصحفيّة بين الصحف والمجلات سمح باحتواء مختلف الأفكار والاتجاهات، ما ساهم في تشكيل تنوع وثراء ملحوظ بين الشباب العُماني كُتابًا ومفكرين وفنانين ومثقفين، غير أنّ جذور الهويّة بقيت مشتركةً ومرتبطةً إلى حد بعيد بالوطن عُمان وبكل ما يمثله من عناصر طبيعيّة ومقومات تاريخيّة وتطلعات مستقبليّة.

صورة الهويّة في الكتابة النثريّة

تركز رؤية الكاتبة على تحول مفهوم الهويّة عبر أجيال الكتاب والأدباء العُمانيين من مفهوم السياسة (المرتبط بالإمامة) والدين واللغة، إلى مفهوم أكثر تركيزًا على الوطن بوصفه الجزء الذي يمثل انتماءات الكاتب بعمقها وحضورها؛ فالقصة العُمانيّة القصيرة تستدعي الأحداث من عمق التاريخ العماني لتؤكد الوعي بالانتماء للوطن، فيصبح الوطن الحبيبة التي يشكل الحفاظ عليها وحمايتها جزءًا من كرامة الرجل ومظهرًا من مظاهر نبله يستشعر بها مسؤوليته كما في قصص علي المعمري، وعلاوةً على ذلك تستدعي الكتابة النثريّة صورًا من ملامح الهويّة العُمانية التي يمثل فيها الكدح في الأرض، والسعي للرزق، والارتباط بالبحر والصحراء والمزرعة، والتشارك في الحزن والألم والفرح مظهرًا لحياة العُماني.

الخلاصة

إنّ الأديب العُماني يختبر في الأدب قدرته على الصمود والمواجهة على امتداد معارك التاريخ، وقدرته على التفاعل مع أحداث اليوم ومشكلاته بذات القدر الذي يتفاعل معها الأديب في الشرق والغرب، يرى فيه الإنسان العُماني برؤية متكاملة تجسد الرغبة في الاستلهام من بطولات الأجداد والعزيمة على صنع مستقبل أفضل، وهو في هذا كله لا ينسى أن يصور المجتمع العُماني كما هو بهمومه وأفراحه برغباته وطموحاته بصلابته وانكساراته، غير أن الذي يسعى دائمًا لحفره في هويّة الأجيال القادمة هو أن الوطن بكل عناصره وعلى امتدادها الزمني تشكلنا وتشكل ذواتنا.

nkha008@gmail.com

دور المؤسسات المجتمعية في الحد من الأثر السلبي للإعلام الفضائي

• محمد الإسماعيلي

يُعد الإعلام الفضائي واحداً من أبرز أدوات التلقين والتوجيه السلوكي في وقتنا الحاضر؛ مما جعل كثيرا من المنظمات والحكومات والدول تعتمد عليه أيّما اعتماد في كثيرٍ من حملات التوعية والإرشاد؛ لقدراته الكبيرة والواسعة في التأثير. بيد أن الإعلام الفضائي يبقى سلاحاً ذا حدّين؛ لذا وجب دراسة مفهومه من حيث النشأة والتطوّر والاستخدام، وهذا الذي قدمه الدكتور أحمد ضياء الدين حسين -أستاذ مشارك، أصول التربية الإسلامية، بجامعة اليرموك الأردنية- رفقة الأستاذة نهى صبري محمد القطاونة -باحثة، ماجستير في الإعلام، بمؤسسة الإذاعة والتلفزيون بالأردن- اللذان قدّما بحثا باللغة العربية عنوانه: «الأثر التربوي للإعلام الفضائي في سلوك الأفراد»، نُشر في المجلد السابع، عدد (١) رمضان ١٤٤١هـ/ نيسان ٢٠٢٠م، في مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة علمية عالمية محكّمة صادرة عن عمادة البحث العلمي في جامعة العلوم الإسلامية العالمية بالمملكة الأردنية الهاشمية. وقد أفاد هذا البحث بياناً عن إيجابيات الإعلام الفضائي وسلبياته، ودور المؤسسات التربوية والإعلامية في ذلك وكيفية التعامل معه.

شهد العالم منذ سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين المنصرم، حراكاً واسعاً في تزايد انتشار جهاز التلفاز، الذي عُدَّ أول أداة لبث الإعلام الفضائي آنذاك، إلى أن أضحى على رأس قائمة الاتصال الجمعي في العقد الأخير من القرن الماضي؛ فأصبحت رسائل الاتصال الجماهيري -بسبب التلفاز- ذات كثافة عالية في الانتشار؛ لما لحق بالبث الفضائي من تطوّر وتنوع، وقد تحقق هذا التقدم الإعلامي الاتصالي المتطوّر بفعل وجود الأقمار الصناعية. وكون أن الجمهور هو العنصر الأبرز في هذه العملية الاتصالية، سلّطت هذه الدراسة الضوء على دور الإعلام الفضائي في حياة الناس، وتأثيره على النمط السلوكي للأفراد إيجاباً وسلباً، وتشكيل اتجاهاتهم وقيمهم ودوافعهم.

إنَّ أهمية هذه الدراسة التي بين أيدينا تكمن في الوصول الحقيقي إلى الأثر الإيجابي والسلبي لما يقدمه الإعلام الفضائي، ووضع حلول تربوية حقيقية للحد من الآثار السلبية. وأبان الباحثان عن قلة الدراسات المقدمة في هذا المجال؛ لذا اتجه مضمون المقال؛ باستخدام المنهج الوصفي التحليلي، لمعالجة ظاهرة انتشار قنوات البث الفضائي في المجتمعات العربية؛ للإسهام في صنع القرار ونشر الوعي.

جاء تعريف الإعلام الفضائي مرتبطاً بتقنيات الأقمار الصناعية، التي تعتمد على إرسال الصورة المرئية والمتحركة واستقبالها من طريق شاشة القنوات التلفزيونية. ولا يخفى على أحد أنّ الإعلام العالمي بقيادة الدول المتقدمة، مثل: الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وبريطانيا وفرنسا، يعد المحرك الرئيس لأهداف الأقمار الصناعية، الطامع إلى تحقيق الاستعمار الثقافي وتشويه الهوية والقيم والحضارة العربية، أضف إلى ذلك إرساء منافذ للتجسس الاستراتيجي والعسكري والأيديولوجي.

لم تستطع المجتمعات مقاومة الألفة التي تحققت بينها وبين شاشة التلفاز، تلك التي خلقت شعور الراحة والاطمئنان، فاحتل هذا الجهاز معظم الأماكن؛ شاغلا بثه المستمر أوقات الناس، حتى ذلك السائق الذي وضعه في واجهة سيارته. ونجد إجمالاً أبرز مميزات شاشة التلفاز: الجمع بين الصوت والصورة « سهولة الوصول والاستخدام » الجاذبية « الواقعية » القدرة على مخاطبة الرأي العام دوره في التعليم والتنمية.

لقد فرض مجال الاتصالات عبر الأقمار الصناعية سرعة كبيرة في تطور تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات والبث الفضائي، فكانت وسيلة اقتصادية للاتصال بالجماهير وإيصال الرسائل والتعرف إلى التغذية الرائجة وأخبار العالم؛ ليحقق سيطرة على بيئات التفكير الفردي والجمعي على حد سواء. وقد ازداد الاهتمام بالتلفزيون باعتباره جامعاً بين المرئي والمسموع؛ فتزايدت باضطراد كثافة الاقتناء والمشاهدة. ورغم أن التلفاز من طريق البث الفضائي، يعد من أكثر وسائل الاتصال الجماهيري جذباً وقوة وتأثيراً في تشكيل الرأي العام إيجابيا أو سلبيا وقيادته، إلا أن مكتبة البحث العلمي تؤكد على قلة الاهتمام بالموضوع ودراسة آثاره وواقعه؛ مقارنة بمستوى انتشاره وسيطرته على آراء الأفراد والجماعات والدول واتجاهاتهم، وأهميته في تشكيل سلوك المجتمعات وثقافاتهم.

وبين دفتي مقال: «الأثر التربوي للإعلام الفضائي في سلوك الأفراد»؛ نجد جملة من الآثار التربوية الإيجابية للإعلام الفضائي كما وضعها الباحثان، هي:

النمو المعرفي.

وسيلة للتعليم.

وسيلة لمكافحة انحرافات المجتمع.

وسيلة للتثقيف الصحي.

وسيلة للترفيه النفسي.

وسيلة اتصال بالجمهور.

في الجانب المقابل، كانت هناك مجموعة من التأثيرات السلبية للإعلام الفضائي، أبرزها:

التأثير الصحي.

إضاعة الوقت والعمر.

التفريط في الأولويات.

العنف والعدوان.

التأثير المالي.

إن طبيعة البرامج التي يبثها الإعلام الفضائي عن طريق التلفاز ذات وجهات نظر أخلاقية واجتماعية وثقافية متعددة، فتارة نجده داخل الفصول الدراسية في المدارس والجامعات يُستعمل لدواعٍ علمية واجتماعية واقتصادية وسياسية وصحية منهجية، وتارة أخرى نجده وسيلة تهدر وقت الطالب وجهده، وتشغله عن المذاكرة والاستطلاع والاهتمام بواجباته الدراسية. وفي صعيد يُستعمل لمحاربة الإجرام والمجرمين وقضايا الفساد، وعلى صعيد آخر تستعمله منظمات وجماعات وسيلة للاتجار بالبشر والمواد الممنوعة. وتعمل بعض القنوات التلفزيونية على بث برامج تعين على الاهتمام بالقضايا الدينية والفكرية والصحية، والترويج للقدوات والشخصيات المهمة؛ وذلك دعماً لهموم الأمة والشعوب الصالحة. بينما تستغل كثير من القنوات التلفزيونية برامجها لتضخيم فئة الرياضيين والفنانين والمطربين والممثلين، وبث البرامج الهابطة والقضايا ذات السلوكيات المدمرة التي تدعو للرذيلة والعدوانية والشذوذ. إن هذا التناقض الكبير الذي خلقه البث الإعلامي الفضائي جعل نتائج كثير من البحوث والدراسات تؤكد على الترابط العقلي والسلوكي الكبير بين الفرد ومتابعته لهذا البث؛ سواء أكان تأثيره إيجابا أم سلبا، خصوصا على مشاهدات الأطفال في سلوكهم واتجاهاتهم وميولهم.

كما تحدّث البحث عن بعض من التأثيرات السلبية للإعلام الفضائي على القيم الإسلامية في المجتمعات العربية والإسلامية؛ وذلك لتحطيم مكتسباتها ومنجزاتها المنوطة بدوافع الشراهة، وعدم واقعية الطموحات، وغياب النزاهة، وزيادة الجريمة والعنف. وجميع ذلك للتأثير في القيم الثقافية؛ تشكيكاً في الهوية الإسلامية لإحلال المفاهيم الغربية. والتأثير في القيم العقائدية والدينية، والتأثير في القيم الأخلاقية بإثارة الغرائز الدنيوية؛ لذا تدخّل البحث لمعالجة هذه الظاهرة من طريق وضع مقترحات تربوية للتعامل مع التأثير السلبي للإعلام الفضائي؛ فكان دور الأسرة ممثلاً في توعية أفرادها بأهمية اكتساب العادات الجيدة في انتقاء قنوات البث التلفزيوني وبرامجه وأوقاته. أما دور المؤسسات السياسية والتربوية فيكمن في التخطيط السليم، والتفكير الجيد لصنع قرارات صائبة لتمكين البث الفضائي النظيف الذي يتناسب وثقافة المجتمع، والحد من التدفق الإعلامي الغربي. فيما يتحقق دور المؤسسات الإعلامية المحلية بوضع سلسلة برامجية سليمة، والتقليل من استيراد البرامج الغربية؛ بل إنتاج برامج محلية تبث الدين الحنيف والثقافة والعلم والقيم المجتمعية النافعة. ويبرز دور المؤسسات الدينية أثرا كبيرا من طريق استثمار الحديث عنها في الخطب ومحاضرات الوعظ والإرشاد والتسجيلات الدينية المتخصصة ومحطات القرآن الكريم، وبثها في الإعلام الفضائي.

عند قراءة ملخص هذا البحث، والآراء الواردة فيه من قبل الباحثين وواضع الملخص، يفرض الواقع المعيش للبث الفضائي المحلي اتخاذ استراتيجيات جادة للارتقاء بالمستوى الفني للبرامج التلفزيونية؛ تلبية للاحتياجات الاجتماعية والثقافية والدينية بين شتى فئات المجتمع، وتأطير حدود التدفق الكبير للإعلام الفضائي العالمي؛ لما له من سلبيات وأضرار على الصحة والوقت والمال والدين والعادات والاتجاهات الوطنية العامة. وقد أبانت هذه المقالة عن أهمية دور المؤسسات التربوية والإعلامية في المجتمع للحد من الآثار السلبية للإعلام الفضائي العالمي.

mohammed.ali@unizwa.edu.om

الإسلام حضارةٌ وفكرٌ

• حميد الصلتي

إنَّ الله خلق الإنسان وكرَّمه وجعل له السمع والبصر والفؤاد ليهتدي بها ويُعملها وفق ما يتوافق مع الشريعة التي سنها له في الحياة؛ فالله جعل الإسلام دينًا للبشرية كلها على اختلاف أجناسها وألوانها وأصنافها، وإلى جانب أمره سبحانه بالتدين فإنَّه جعل الانفتاح على العلوم الأخرى مطلبًا وجزءًا لا يتجزأ من إيمان المرء.

فالإسلام هو الدين الذي يشجع بقوة النظر والتفكر والتفحص والسير نحو الأمام بكل ما أوتي الإنسان من السبل المشروعة والمباحة من قبل الإله العظيم.

ولذلك نجد أن الإسلام جعل لطلبة العلم منزلةً خاصةً دون سواهم وجعلهم في أعلى عليين إن هم ساروا وفق المنهج المرسوم الذي لا يخرج عن النهج القويم، وقد حرص الإسلام على تشجيع معتنقيه بالتوغل في شتى العلوم وفق الضوابط المرسومة سواءً كانت هذه العلوم دينية أو طبية أو فلكية أو كونية أو نفسية أو رياضية أو كل ما يمت بخدمة البشرية والارتقاء بمستوى أدائها وتطورها والدفع بعجلة مضيها نحو الأمام.

ولذلك نجد أن الله في مواضع كثيرة من كتابه العظيم يأمر بالتفكر والتبحر والنظر والتأمل في هذا الكون الشاسع وفي الأنفس وفي الآفاق وفي ذلك دعوة إلى الانفتاح إلى شتى العلوم المختلفة، وفي مقال «تطور الفكر والحضارة الإسلامية في منظور التاريخ» للكاتب دين محمد زكريا والمنشور باللغة الإنجليزية في مجلة Studia Relegia Jurnal Pemikiran dan Pendidkan islam (عدد ٤، يونيو ٢٠٢٠) ما يشبع بطن الجائع والمتلهف لمعرفة المزيد عن تطور الفكر والحضارة الإسلامية.

وقد أشار الكاتب في مقدمة مقاله إلى أسباب التطور السريع للفكر الإسلامي عبر التاريخ والتي يمكن إجمالها في الآتي:

١. انفتاح الإسلام على الديانات والحضارات الأخرى: وهذا ما لا نختلف فيه مع الكاتب، إذ إنَّ انفتاح الإسلام على الديانات والحضارات الأخرى قلص من حجم الفجوة التي من الممكن أن تحدث فيما لو هُمشت إنجازات الحضارات الأخرى.

٢. موقف المسلمين المتسامح والمتوافق مع هيمنة الفكر والحضارة الأجنبية: وهذا مما يدعم القضية التي من أجلها تُرفع راية الإسلام فالتسامح مع الفكر المنبلج من قبل الطرف الآخر والأخذ منه وتعديله بما يتناسب مع الشريعة التي تقوم عليها الحضارة الإسلامية كان له دور مهم في استمرار دوران عجلة تقدم الحضارة الإسلامية بدلًا من الانعزال وبناء الحضارة من حجر الصفر.

٣. حب المسلمين للعلم وتعلقهم به: وهذا مما تدعمه الشواهد التاريخية حيث كان للمسلمين دور بارز في شتى العلوم الفلكية والطبية والرياضية وقد تمكن كثيرٌ من العلماء المسلمين في هذه العلوم نتيجة حبهم وتعلقهم بالعلم ونتيجة إيمانهم بأنَّه لا يمكن للمسلم أن ينغلق على نفسه دون أن يبحر في العلوم التي سخرها الله له من أجل خدمة البشرية جمعاء.

٤. دمج العلماء المسلمين وانخراطهم في العمل مع الحكومات: وهذا كذلك كان له دورٌ كبير في دفع عجلة الحضارة إلى الأمام إذ إنَّ الحكومات الإسلامية كانت تعتمد على العلماء كثيرا في سبيل تطوير أنظمتها التعليمية والاقتصادية والاجتماعية إضافة إلى أنظمتها الصحية والدفاعية.

٥. حرية الفكر: ولا يخفى على ذي لب ما لحرية الفكر من أثر بالغ في السير بالحضارة الإسلامية إلى النجوم ولأن المسلمين آمنوا بحرية الفكر لم يضعوا الحضارات على هامش الورقة بل أخذوا من تلك الحضارات ما يتناسب وعدلوا وأضافوا بصمتهم إلى الكثير من العلوم.

٦. تطور المؤسسات التعليمية خلال حكم الخلافة الراشدة والعصر الأموي والعباسي: ولا يمكن أن نغفل الدور الكبير الذي اضطلعت به الخلافة الراشدة والعصور الأموية والعباسية عند بعض خلفائها الذين كانت لهم نظرات ثاقبة تتطلع إلى تطوير المؤسسات العلمية وتهتم بالعلم وطلبته بل أدى الحال إلى بعضهم كالخليفة هارون الرشيد إلى مكافأة من يؤلف كتابًا بوزن ذلك الكتاب ذهبًا ولا يدل ذلك إلا على اهتمام ذلك السلف بتطوير البلاد المسلمة وتسليحها بسلاح العلم والمعرفة.

وانتقل الكاتب بعد مُقدمة مقاله إلى الحديث بشكل مفصل عن تعريف الفكر والحضارة فهو يرى أن الفكر هو عبارة عن سلسلة من الخيالات أو الأحاديث القلبية أو النيات التي تدور حول البحث والربط بين الأشياء لمعالجة قضية ما، وأتفق مع الكثير من أجزاء تعريفه هذا؛ إذ إنَّ الفكر كما يبدو لي مجموعة من الأفكار التي تكون وليدة وجود معضلة أو حدث عابر أو قضية معينة.

كما يشير الكاتب إلى أنَّ الكثير من الناس يرى أن مصطلح الحضارة مرتبطٌ ارتباطًا وثيقًا بالثقافة والعادات والتقاليد والمعتقدات، وهذا لا يتمارى فيه اثنان إذ إن الحضارة من وجهة نظري هي وليدة وجود قواسم مشتركة بين مجموعة من الناس كوحدة الثقافة والدين والعادات والتقاليد والمعتقدات وهذه الوحدة هي التي تجمعة الفرقة وتوحد الصف وتكون الحضارة.

ولكن الأمر مختلف نوعًا ما مع الحضارة الإسلامية إذ إن الحضارة الإسلامية تعطل كل معتقد أو عادة أو ثقافة تتعارض مع الأوامر الإلهية، وهذه هي أهم سمة تؤهل الحضارة الإسلامية لتكون حضارة عامة مناسبة لجميع من يريد أن يستظل بظلها فهي تظل الناس بمظلة واحدة لا تستقي ظلها إلى من خالق الكون فقط وموجد الموجودات.

ويرى الكاتب أن مخاض الفكر يسفر عن ولادة الحضارة والعكس صحيح فمخاض الحضارة يسفر عن ولادة الفكر ويمكن الربط بين ما سطره الكاتب في أن نشأة الحضارة تجعل من الفكر يتحرك وذلك لتقويتها وتطويرها والرقي بها، والعكس صحيح؛ فنشأة الفكر يجعل الفكر يتحرك لبناء حضارة مستقلة شامخة بنفسها كما هو حال الإنسان الفطري في حب الاستقلالية.

كما يرى الكاتب أن الحضارة الإسلامية وصلت في أوج تطورها في العصر العباسي حيث انتشرت المدارس وبنيت دور العلم وتطور التعليم وزاد إكرام طلبة العلم وخاصة في عهد الخليفة هارون الرشيد وابنه المأمون.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نقول إن الحضارة الإسلامية كان لها فضل السبق في كثير من العلوم وهي وإن شَلّت حركتها اليوم فإننا على يقين أن المارد النائم في داخلها سيستيقظ يومًا ما ويرى النور ويدحض دياجير الظلام ويقتحم شتى العلوم ويتمكن فيها ويصبح الرائد الأول عليها.

humaid096@gmail.com

النصوص المنشورة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعكس بالضرورة رأي مجلة التفاهم أو الجهة التي تصدر عنها

مجلة التفاهم هاتف: 24644031 - 24644032 968+ , فاكس: 24605799 968+
البريد الإلكتروني: www.altafahom.net - al.tafahoom@gmail.com - tasamoh@gmail.com